

للإمام أحمد بن سليمان بن كمال باشا

المتوفى سنة ٩٤٠هـ

حققه وأكمل فوائده

الدكتور حسن ضياء الدين عتر

دار البشائر الإسلامية

تفسير سورة الملك

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

دار البشائر الإسلاميّة
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب: ٥٩٥٥ - ١٤

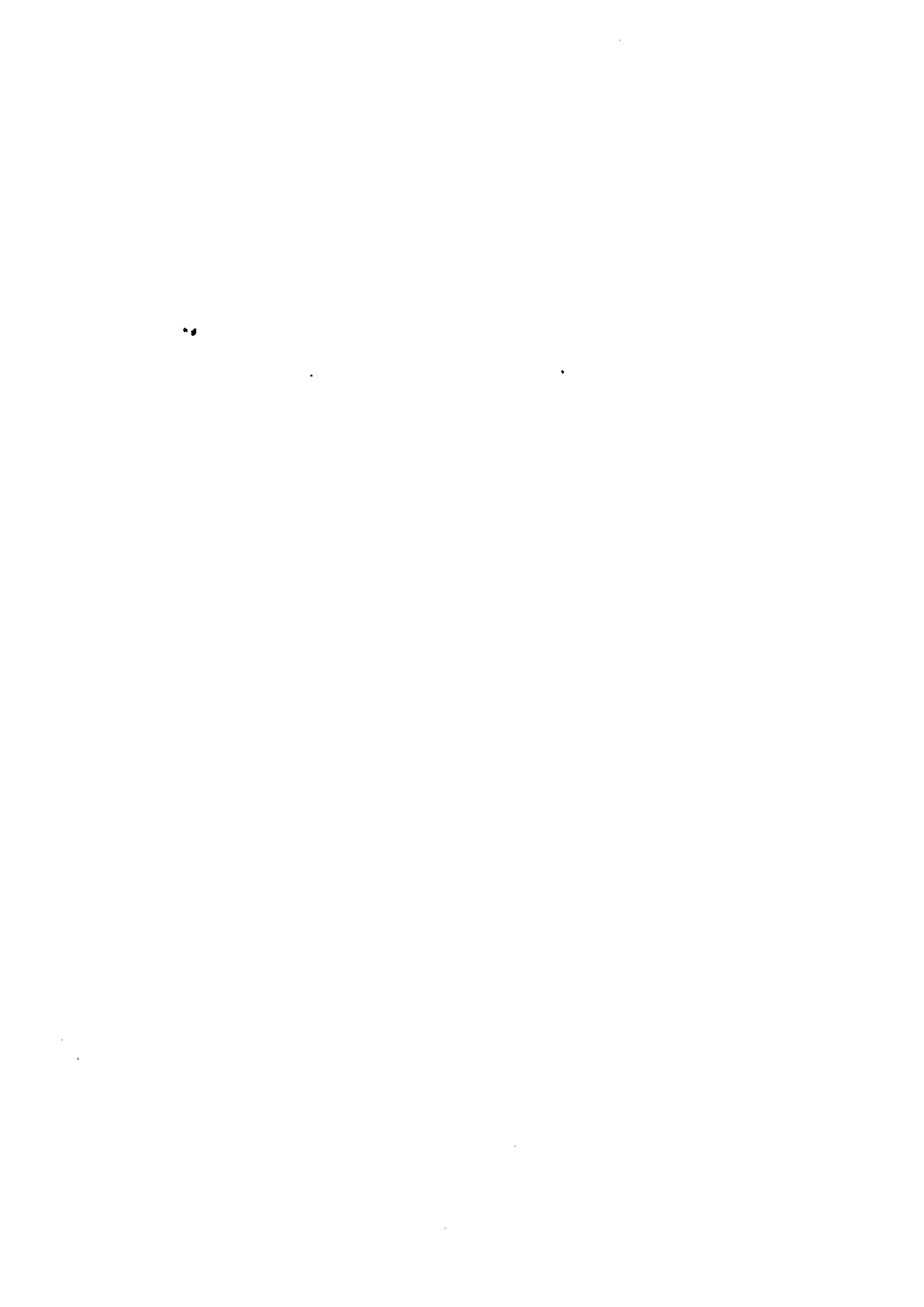
تفسير سورة الملك

للإمام أحمد بن سليمان بن كمال باشا
المتوفى سنة ٩٤٠هـ

حققه وأكمل فوائده
الدكتور حسن ضياء الدين عتر

«إنَّ مَنْ كانَ قَبلكم رَأَوْا القرآنَ رَسائلَ إليهم من رَبّهم، فكانوا يتَدَبَّرُونها باللَّيل، ويَتفقَّدُونَها في النهار».
(الإمام الحسن بن علي)

دار البشائر الإسلامية



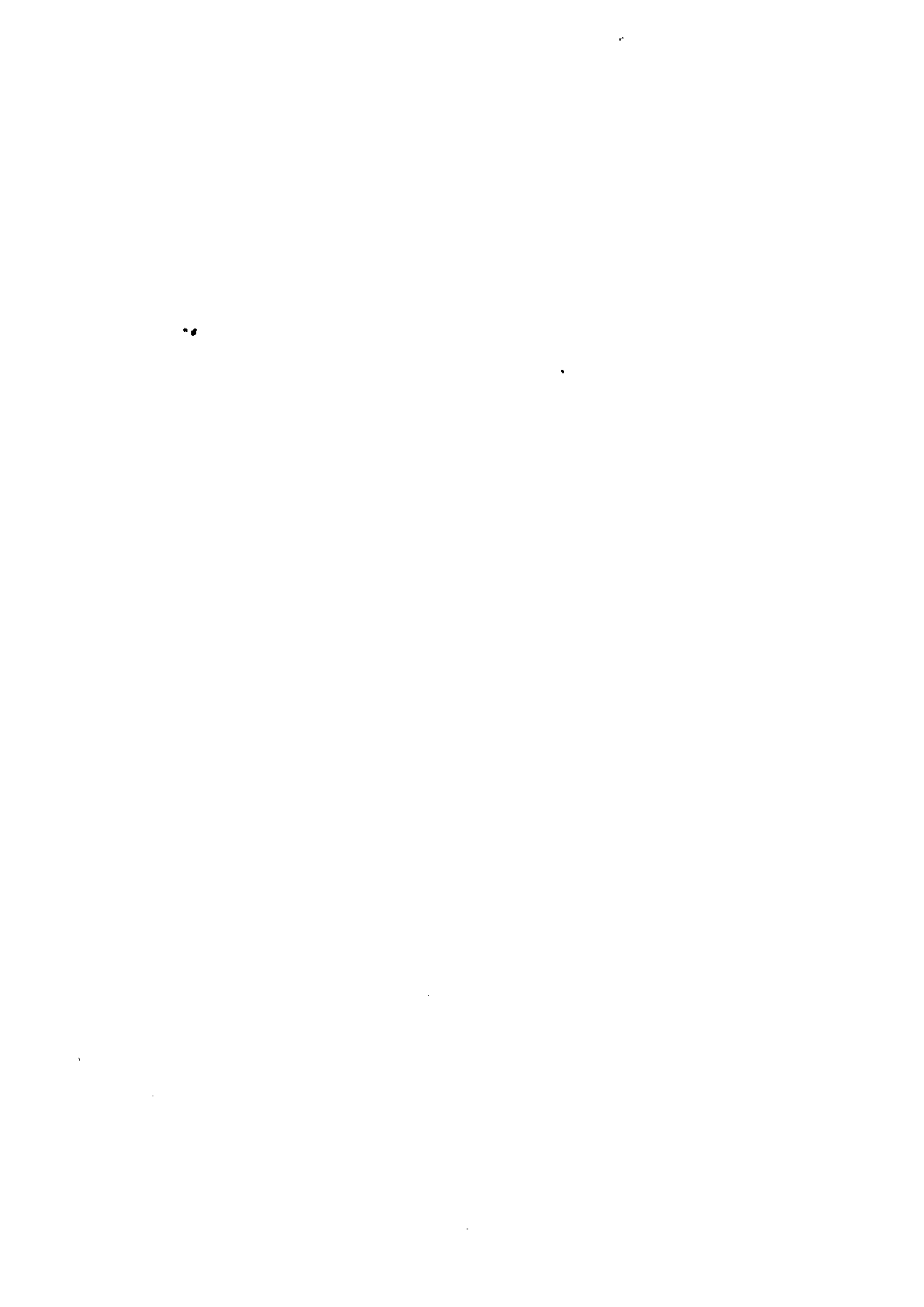
سُورَةُ المُلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾

قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾
وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا
يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي
هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ

وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزّل القرآن على عبده ورسوله محمد ليكون للعالمين نذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فأرشد أمته إلى سبل الفلاح والهداية، وحَذَّرهم من سُبل الضلال والغواية. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والمهتدين بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد وَقَفَ سيد المرسلين حياته لتعليم الناس الخير بعد أن جاءه الحق المبين، وتلقّى وحي الله من جبريل الأمين، فأمضى عمره في عبادة الله ونشر رسالته والجهاد في سبيله؛ مبتغياً ما عند الله تبارك وتعالى؛ مؤثراً الحياة الباقية ونعيمها الذي لا ينفد على الدنيا الفانية وحطامها الزائل. فكان من عباداته الدائمة أن يقرأ يومياً سورة «تبارك الذي بيده الملك»، كان لا ينام حتى يقرأها، وقد دَلَّ أمته على هذا الكنز العظيم المبارك الخالد، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «إنَّ سورةً من القرآن ثلاثون آية شَفَعَتْ لرجلٍ حتى غُفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك». رواه الترمذي.

.. لا ريب – يا أخي المؤمن – أن في هذه السورة من الخيرات والبركات والنفحات الإلهية ما يبعث عزيمتك الماضية على التزام قراءتها يومياً، مُمْعِناً مسترشداً، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنَّ البركةَ العظمى للقرآن المجيد في تلاوته مع معرفة معانيه والإفادة عملياً من هدايته وإرشاده ومراميه. وهذا يحفزك إلى استطلاع تفسير هذه السورة المباركة لتكون تلاوتك إياها بفهم وتدبر

واسترشاد، كما عود النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أصحابه على ذلك في تلاوة القرآن عامة.

وقفتُ على مخطوط وثيق فيه تفسير هذه السورة المباركة؛ للعالم الجليل الإمام أحمد بن سليمان بن كمال باشا؛ من أئمة القرن العاشر الهجري. فحققتُ النصَّ بدقة بالغة، معتمداً على نسختين موثوقتين في مكتبة الحرم المكي، ثم علقت عليه، وأتممت فوائده، وقدمت له بترجمة مناسبة ودراسة ممحصة.

تحدثت في مقدمة التحقيق عن أثر القرآن في قلوب العباد، حتى دخلوا في دين الله أفواجاً. ثم بينتُ فضلَ سورة الملك بالشواهد الحديثية. وأوضحت منهج الإمام المؤلف في التفسير، وأنه أخذ بالتفسير بالمأثور، كتاباً وسنة، وبالتفسير بالرأي، فاعتنى باللغة والبلاغة والنحو والصرف.. حتى تجلّى للقارىء أن الإمام المؤلف قد جمع بين مزايا المذهبين في التفسير.

أما نشأة الإمام فشيقة جداً، إذْ كان في مطلع شبابه في الجيش يودُّ أن يغدوَ قائداً حربياً، ولكنَّ مُقلِّبَ القلوبِ صَيَّره عالماً ربانياً... وتحدثت عن منزلته العلمية وشهادةِ علماء مصر له بالفضائل الجمة وإتقان العلوم المهمة. وجاء إنتاجه العلمي غزيراً متنوعاً متقناً نظراً لثقافته الواسعة وعلمه الوفير. أثنى عليه مترجموه ثناء عاطراً، وقارنوه بالإمام جلال الدين السيوطي في عصره. واختلفوا في التفاضل بينهما، لكنهم أجمعوا على تفضيلهما على سائر علماء عصرهما، والحقُّ أن لكل منهما مزاياه.

لكنك تأسف تماماً أن الإمام أحمد بن سليمان في منزلته الرفيعة لا يزال عالماً مغموراً في عصرنا، وإن كثيراً من أهل العلم لا يعرفون عنه شيئاً ذا بال، وإنه للأسف مجهول لدى عامة طلاب العلم، على الرغم من علو كعبه وكثرة مؤلفاته. لكن المطبوع منها قليل جداً ونادر الوجود. وقمت بصياغة أول ترجمة موجهة هادفة عنه فكانت أولَ ما أبرز مكانة هذا الإمام الجليل في الإعلام العلمي المعاصر.

وتحدثتُ عن منهجي في تحقيق نص المخطوط والتعليق عليه بفوائد مهمة

جداً، في التوحيد والحديث واللغة والبلاغة. واستكملت في التعليق بيان معاني بعض الآيات إتماماً لمقصد المؤلف ومنهجه في الجمع بين التفسير بالرواية والدراية.

وقد نُشرت هذه الرسالة الموجزة أول مرة في مجلة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة في العدد الثاني سنة ١٣٩٩هـ. ثم رأيت أن أنقحها وأضيف إليها فوائد جديدة، وأفردها بالنشر في رسالة مستقلة؛ نظراً لأهميتها ورغبة في تعميم النفع بها؛ وتأسياً بالعلماء العاملين في إفراد مثيلاتها المهمات.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بها وبجميع جهودي العلمية، ويجعلها جميعاً مبرورةً خالصةً لوجهه الكريم، إنه سميع الدعاء.

من آثار القرآن في الإنسانية

حض الله تعالى المسلمين على إنعام النظر في آيات كتابه المجيد وفهمها والعمل بما فيها: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾[١] وعلى هذا يعكف أصحاب العقول السليمة. ووبخ الله جل جلاله عباده الذين يصدفون عن التفكر في آيات كتابه الحكيم: ﴿أفلا يتدبرون القرآن؟! أم على قلوب أقفالها؟!﴾[٢].

استرعت هذه الدعوة القرآنية اهتمام الصحابة فأقبلوا على كتاب الله يحفظونه بفهم، ويرددونه بتأمل وتدبر، ويعملون بما فيه. وكانوا إذا تعلموا سورة أو آيات لا ينتقلون إلى غيرها حتى يعملوا بما فيها، فتعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم والعمل[٣]. وما العلم بمدلولات القرآن ومعانيه للعمل بما فيه إلا تفسير للقرآن. وعلم التفسير يصل الإنسان بدستور الإسلام وكتابه الرباني المجيد، هذا

---

(١) سورة ص: الآية ٢٩.

(٢) سورة محمد: الآية ٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ١/٣٩ ــ ٤٠. وانظر نص الخبر في جامع البيان، للطبري ١/٣٥ ــ ٣٦. ط ثانية. مصطفى البابي الحلبي.

الكتاب الذي غيّر مجرى حياة الإنسانية وصحح الأوضاع والقيم في العالم. وما تزال آثاره تسري في البشرية، فالقلة القليلة من المسلمين ما كانت بقوتها الآدمية قادرةً على فتح شيء من مدن الأرض. لكنهم طرقوا أبواب البلاد وفتح الله لهم بتعاليم القرآن وعقائده قلوب العباد! وهذه أخطر المدن آثاراً في حياة المسلمين، وهي معقلهم وقاعدتهم لم تفتح بالسلاح والجيوش الجرارة وإراقة الدماء وإشاعة الخراب... كانت (يثرب) معقل الشرك والجاهلية بعد مكة؛ وبؤرة اليهوديةُ في الجزيرة العربية، قد فتحها الله على المسلمين بكتائب من آيات القرآن العظيم، بثّها الداعيةُ الصحابي الشاب مصعبُ بن عمير رضي الله عنه، حتى صارت مدينةُ الرسول المنورة قلعةَ الإسلام الحصينة وثُكنةَ الجهاد في سبيل الله، يأوي إليها المؤمنون المخلصون وتنطلق منها جحافل الإيمان المظفرة. وتجد في التاريخ الإسلامي أقاليم واسعة «كأندونيسيا» وغيرها قد حظيت بالفتح القرآني لم يدخلها محارب واحد.

فضل سورة الملك

تمتازُ سورة الملك بمزية عظيمة في الثواب والفضيلة، تبعث عزيمة المؤمن على حفظها ومعرفةِ أسرارها والإكثار من تلاوتها. فقد روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ سورةً من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفرَ له، وهي سورةُ تبارك الذي بيده الملك». قال الترمذي: هذا حديث حسن(١).

وروى الترمذي بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ضَربَ بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه

(١) جامع الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، حديث ٢٨٩١، ٥/١٦٤؛ ورواه أبو داود: كتاب الصلاة، باب في عدد الآي، الحديث ١٤٠٠، ٢/٥٧؛ ورواه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، الحديث ٣٧٨٦، ٢/١٢٤٤؛ ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/٣٢١؛ ورواه النسائي ولعله في السنن الكبرى وهو مخطوط؛ ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٥٦٥ وصححه، وأقره الذهبي؛ ورواه الدارمي بسياق أطول موقوفاً على خالد بن معدان، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٢/٤٥٤ ـ ٤٥٥.

إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني ضربت خِبائي[1] على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسانٌ يقرأ سورةَ تباركَ «المُلكُ» حتى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي المانعةُ هيَ المنجية، تُنجّيه من عذاب القبر».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه[2].

إن أعلم الناس بالله وأتقاهم له هو رسول الله، وقد عنى صلى الله عليه وسلم بهذه السورة عناية فائقة. فثابر على تلاوتها يومياً حتى ما ينام قبل تلاوتها وتلاوة سورة السجدة. عن جابر: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ «ألم تنزيل» و «تبارك الذي بيده الملك»)[3].

وينبغي للمؤمن أن يحرص على حفظ هذه السورة الكريمة. وأن يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم. فيكثر من تردادها متأملاً معانيها، حتى تنكشف له أسرارها. وتسطع عليه أنوارها، وتَعمُّهُ خيراتها العظيمة وبركاتها الكريمة. فقد رُوِي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن هذه السورة: «لوددْتُ أنها في قلبِ كلِّ إنسان من أمتي»[4].

هذا ومن شأن المسلم المحب للقرآن أن يُعلِّمها أيضاً أهله وجميع أولاده وجيرانه كما وصى بذلك ابن عم رسول الله عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) الخباء: الخيمة.

(٢) جامع الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، حديث ٢٨٩٠، ١٦٤/٥. وانظر في شرح هذه الأحاديث: تحفة الأحوذي ١٩٩/٨ وما بعدها.

(٣) رواه الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، الحديث ٢٨٩٢، ١٦٥/٥؛ ورواه الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٤٥٥/٢.

(٤) أخرجه عبد بن حميد في مسنده والطبراني. قال ابن كثير: هذا حديث غريب وإبراهيم أحد رواته ضعيف. انظر: تفسير ابن كثير ٣٩٥/٤.

تفسير سورة الملك لأحمد بن سليمان :

نبغ في النصف الأول من القرن العاشر الهجري عالم جليل ضليع بالعلوم الإسلامية والعربية. هو أحمد بن سليمان بن كمال باشا. واتجهت همته إلى تفسير كتاب الله تعالى، فبذل جهوده ومواهبه كافة. وأوشك أن يتم تفسيره لولا أن أدركه أجله، وقد أفرد سورة الملك في رسالة صغيرة نظراً لأهميتها الخاصة، كدأبه في جميع الموضوعات الهامة يفردها برسائل مستقلة، ويورد فيها من التحقيقات ما لا تجده في بعض أمهات الكتب. ولعله أخذها من تفسيره وأضاف إليها وضمها إلى مجموعة رسائله العلمية الهامة. يشير إلى هذا قوله في تفسير «صراط»: (وقد مرَّ التفصيل في سورة الفاتحة).

إن الأهمية البالغة لهذه السورة الكريمة حفزت همتنا إلى تحقيق هذا المخطوط الصغير؛ رغبة في نشر هدايتها والإفادة بأنوارها ودلائلها وحقائقها، وأملاً بالله العفو الجواد أن يمنحنا من الثواب والمغفرة فوق ما تصبو إليه النفس وتتمناه.

منهج المؤلف في التفسير :

تأثر ابن كمال باشا بأصحاب التفسير بالرأي تأثراً كبيراً، فسلك سبيلهم، غير أنه لم يدع التفسير بالمأثور، بل مال إليه ميلاً طيباً، فجمع بذلك بين مزايا المذهبين في التفسير. وستجده يكثر من إيراد الآيات القرآنية في بيان معنى الآية؛ أو لترجيح القول الذي اختاره في تفسيرها. وهو يلقي عليك حجة علمية قاطعة لا تقاوم، فيقول: (والقرآن يفسر بعضه بعضاً، سيما[1] في حكم واحد[2].

وهذه هي القاعدة الأساسية الأولى للتفسير بالمأثور. اصغ إلى قول ابن تيمية رحمه الله: (فإن قال قائل: فما أحسنُ طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يُفسَّر القرآنُ بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر،

---

(١) قوله: «سيما» من الخطأ المشهور، والصواب لغة «لا سيما» (لسان العرب مادة: سوا ١٩/١٣٧).
(٢) في تفسيره الآية ٥، وانظر تفسيره للآيات: ٢ و٧ و٨ و١٠ و١٢ و١٦ و٢٠ و٣٠.

وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له)[1].

وهذا أحمد بن سليمان يفسر القرآن بالسنة، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿قلْ إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾[2] يورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا النذير العُريان»[3].

وفَسَّر القرآن بقول الصحابي رضي الله عنه، فذكر كلام ابن عباس في بيان المراد من شهيق جهنم: ﴿إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور﴾[4].

وفي تفسير القرآن بقول الصحابي قال ابن تيمية رحمه الله: (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعتَ في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرآن[5] والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم.. ومنهم الحَبْر البحر عبدالله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن)[6].

ولجأ أحمد بن سليمان إلى بيان معاني الألفاظ اللغوية، كما في تفسيره: ﴿يمشي، لجوا، عُتو، نُفور﴾ وأظهر في هذا حصافة ودقة لغوية فائقة، لاحظ تفسير قوله تعالى: ﴿... سمعوا لها شهيقاً وهي تفور﴾.

واستعان بعلم البلاغة في تحليل الصور البيانية والعبارات، لاحظ بيانه للاستعارة في قوله تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾[7] وبيانه للتشبيه في

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ص ٩٣.

(٢) سورة الملك: الآية ٢٦.

(٣) أخرجه الشيخان: وسنذكره بتمامه وتخريجه في موضعه من التعليق ص ٣٥.

(٤) سورة الملك: الآية ٧.

(٥) قوله: «القرآن» كذا في المطبوعة، والظاهر أنها «القرائن».

(٦) مقدمة في أصول التفسير، ص ٩٥ ــ ٩٦.

(٧) سورة الملك: الآية ٥.

قوله تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها﴾[1].

وقد أحسن الإمام إذْ لم يُغرق في النحو والصرف، بل أخذ منهما قدراً يساعد على استبانة مراد الله تعالى من آياته، وهذه مهمة المفسر. تأمل إعرابه ﴿زلفة﴾ وتصريفه ﴿معين﴾.

كما أقلَّ من إيراد القراءات مقتصراً على ما كان وثيق الصلة بتفسير الآية. لاحظ إيراده قراءة ﴿تدعون﴾ بالتخفيف.

ويبدو أن له عناية بأسباب النزول، فقد أورد أحدها في تفسير قوله تعالى: ﴿ألا يعلمُ مَنْ خلق وهو اللطيف الخبير﴾[2] غير أنه تابع فيه البيضاوي والزمخشري[3] فأورده دونما سند ولا تخريج. وهذا من آفات بعض المفسرين بالرأي.

وعمد هذا العلامة إلى الترجيح بين الأقوال مع التمييز الدقيق كما في بيانه: شهيق جهنم، ثم شهيق الكفار وزفيرهم بعد استقرارهم فيها. تأمل ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إذا أُلقُوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور﴾[4].

وباشر أحمد بن سليمان الدفاع عن عقيدة السلف والرد على بعض الفرق المبتدعة، فأبطل استدلال المرجئة على عدم إدخال أحد من عصاة المؤمنين النار بقوله تعالى: ﴿كلما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾[5]، فالآية تبين إدخال الكفار إلى النار أفواجاً، ولكنها لا تمنع من إدخال العصاة والفساق فيها، فتأمل!.

عرّج الإمام شمس الدين أحمد بن سليمان خلال تفسيره على بيان بعض

(١) سورة الملك: الآية ١٥.
(٢) سورة الملك: الآية ١٤.
(٣) الكشاف ٤/٤٦٤؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/٢٣٦.
(٤) سورة الملك: الآية ٧.
(٥) سورة الملك: الآية ٨.

الحقائق العلمية التي تقررها بعض الآيات. كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يروْا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضـن، ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير﴾[1] فأبان أن الأصل في الطيران بسط الجناح، وأن ضم الأجنحة واهتزازها طارىء للاستعانة به على التقدم في الجو. وهذا أمر علمي قطعي يعرفه العلماء المختصون المعاصرون، بل كل من له إلمام بطيران الطائرات يوقن أن أساس الطيران مدّ الجناح. وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة كما ترى منذ أربعة عشر قرناً، وهي فوق مستوى علماء ذلك الزمان جميعاً، وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن. فثبت أن محمداً الذي عاش في جزيرة الأمية ونشأ في البيئة الجاهلية، ما كان ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يوحَى، فهو رسول الله حقاً وصدقاً صلى الله عليه وسلم.

* * *

٤٠

(١) سورة الملك: الآية ١٩.

الإمام أحمدُ بن سليمان بن كمال باشا

نشـأتـه :

تطلَّعْ إلى القرن العاشر الهجري تجدْ في العالم الإسلامي توقيراً واحتراماً بالغاً للعلوم الإسلامية، وتبجيلاً عظيماً لعلماء الإسلام. ولا غرو في ذلك، فقد كان فيهم من النبغاء والفحول كثرة كاثرة، وتواصلت المدارسة والدأب على الحفظ والمطالعة في المساجد. وغدت معاهد العلم تُشع بالنور وتخرج من عباقرة العلوم نماذج فذة استطارت سمعتهم في الآفاق وتحدث عنهم الركبان.

من عِلْية أولئكم الأعلام شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا، تركي الأصل، مستعرب، كان جده من أمراء الدولة العثمانية، نشأ أحمد في بيئة عز ومجد، واتجه في صغره إلى العلم، فحظي منه بنصيب، لكنه لما شَبَّ ألحقه أهله بالجيش، فانقطع بذلك عن طلب العلم، ولم يُهج ذلك فيه لوعة ولا حسرة، شأن الشباب المنعمين المترفين في كل زمان، فالجاه والنعيم قد أذهلا كثيراً من الناشئة عن فضيلة العلم. وكان يُرتقب منه أن يغدو قائداً عسكرياً حازماً، وأميراً مطاعاً، لكنْ حفت به عناية إلهية خاصة رفعته بالعلم والإخلاص مقاماً علياً. وقد قصَّ علينا قصته إذ ارتحل مع السلطان بايزيد خان في سفر وكان معه وزيره إبراهيم باشا بن خليل باشا؛ وأمير ليس في الأمراء أعظم منه في ذلك الزمن، اسمه: أحمد بك بن أورنوس.

قال أحمد بن سليمان: (فكنتُ واقفاً على قدميَّ قدام الوزير، وعنده هذا الأمير المذكور جالساً، إذ جاء رجل من العلماء رثُّ الهيئة دنيء اللباس فجلس فوق الأمير المذكور، ولم يمنعه أحد من ذلك، فتحيرت في هذا الأمر، وقلت لبعض رفقائي: من هذا الذي تصدَّر على مثل هذا الأمير؟

قال: هو عالم مدرس، يقال له المولى لطفي.

قلت: كم وظيفته؟

قال: ثلاثون درهماً!

قلت: وكيف يتصدر على هذا الأمير ووظيفته هذا المقدار؟

فقال رفيقي: العلماء معظمون لعلمهم، فإنه لو تأخر لم يرض بذلك الأمير ولا الوزير.

قال أحمد: فتفكرت في نفسي... فنويت أن أشتغل بالعلم الشريف)(١).

لقد تعلق هذا الشاب بالزعامة العسكرية: فالشباب عموماً يعتدون بالقوة ويطمحون إلى الهيمنة، ويدخل على كثير منهم عجب وغرور. فلما طرأت عليه هذه الحادثة لفتت انتباهه إلى أمر أعظم مما تعلق به وهو طلب العلم. وأثَّرت في مفهوماته، فتغير مجرى حياته جذرياً. وقد عبَّر عن ذلك بقوله: (فلما رجعنا من السفر وصلت إلى خدمة المولى المذكور (لطفي) وقد أُعطي عند ذلك دار الحديث بأدرنه)(٢).

استقر أمره على أن يعود طالب علم، موقناً أنه شرف عظيم، مَنْ حظي به فقد حظيَ حقاً بخير عظيم في الدنيا والآخرة.

وتحقق أمله العظيم فتلقى العلم من كبار علماء عصره، منهم: المولى لطفي

---

(١) شذرات الذهب، عبدالحي بن العماد الحنبلي، ص ٢٣٨.
(٢) شذرات الذهب، ص ٢٣٨.

الرومي، والمولى القسطلاني، والمولى خطيب زادة، والمولى معروف زادة... (وصرف سائر أوقاته في تحصيل العلم، ومذاكرته، وإفادته واستفادته حتى فاق الأقران وصار إنسان عين الأعيان)[1].

إذن، أقبل هذا الشاب على الله بصدق وإخلاص، ودأب راغباً فيما عنده. فإن العلم الإسلامي يأبى على العقلاء إلا أن يجعلوه خالصاً لله.

منزلته العلمية:

واكتمل تكوينه العلمي وصار مُدرساً وظل يترقى في التدريس متنقلاً في مدارس أدرنة من مدرسة إلى أهم منها، حتى درَّس في أعظمها، مدرسة السلطان بايزيد. ثم عُين قاضياً بأدرنة، ثم أعطي قضاء العسكر الأناضولي، ثم صار مفتياً في مدينة اصطنبول. ولم يزل في منصب الفتوى إلى أن لحق باللطيف الخبير سبحانه وتعالى.

ودخل أحمد بن سليمان إلى القاهرة بصحبة السلطان سليم خان حين أخذها من الجراكسة، وكان يومئذ قاضياً بالعسكر المنصور بولاية الأناضول (وأجاز له بعض علماء الحديث بها، وأفاد واستفاد، وحصل بها علو الإسناد. وشهد له علماؤها بالفضائل الجمة والاتقان في سائر العلوم المهمة)[2].

ويبدو جلياً من سيرة هذا العالم أنه كان مديد العكوف على المطالعة والتأليف بعزيمة ماضية وهمة عالية، وفتح الله عليه حتى (أبدع في إنشائه وأجاد، وكل مؤلفاته مقبولة مرغوب فيها، متنافَس في تحصيلها، متفاخَر بتملك الأكثر منها، وهي لذلك مستحقة وبه جديرة)[3].

ومع ذلك فإنك لا تراه زعم لنفسه أنه مفسر أو محدث أو فقيه الديار التركية!!

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين التميمي، ص ٤٠٩.

(٢) الطبقات السنية، ص ٤١٠.

(٣) الطبقات السنية، ص ٤١٢.

ولم يُدوِّنْ مثل هذا اللقب على كتبه!؟ فالتقوى والإخلاص في طلب العلم يحملان العالم على ابتغاء رضوان الله وثوابه بعلمه وتعليمه وتآليفه؛ وعلى الحذر من الغرور والكبر؛ ومن التطلع إلى إعجاب الناس؛ أو الحرص على الشهرة بينهم، فذاكم هلاك العالم وطالب العلم، كما أفاد حديث الثلاثة الأوائل الذين تُسعر بهم النار[1].

لـمْ يقدم الإمام مثل هذا الإنتاج النافع القيم إلا بتوفره على العلم والتعليم وتفرغه لذلك تماماً. فالعلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه، فكيف إذا أعطيته بعضك، وكنت موزع القلب والاهتمام!!؟؟ هيهات هيهات!!...

قال صاحب الشقائق النعمانية في بيان دأبه على التحصيل العلمي: (كان، رحمة الله تعالى عليه، من العلماء الذين صرفوا جميع أوقاتهم إلى العلم، وكان

(١) في حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ أولَ الناس يُقضىٰ يوم القيامة عليه: رجل استشهد.. ورجل تعلَّم العلمَ وعَلّمه، وقرأ القرآن فأُتي به، فعرفه نِعَمهُ فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلمَ وعَلَّمته، وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبت. ولكنك تعلمتَ العلمَ ليقال عالم، وقرأت القرآن ليُقال هو قارىء، فقد قيل: ثم أُمِرَ به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل وسَّعَ الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله...».

رواه الإمام مسلم بلفظه، كتاب الامارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ص ١٥١٣ ــ ١٥١٤، الحديث ١٩٠٥؛ ورواه النسائي بنحوه، كتاب الجهاد، باب من قاتل ليقال فلان جريء ٦/٢٣ ــ ٢٤؛ ورواه الترمذي بسياق طويل، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة، ص ٥٩١ ــ ٥٩٣، حديث ٢٣٨٢. وانظر التخويف من النار: لابن رجب الحنبلي، ص ٢٢٧، ط. بيروت، فالرياء هو من الشرك الخفي، ومهما اتسع صاحبه في العلم والاطلاع، وارتقى في مراتب الدنيا فإنه على خطر عظيم.

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تعلَّـمَ علماً لغير الله؛ أو أراد به غير الله؛ فَلْيتبوَّأْ مقعدَهُ من النَّار». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب. كتاب العلم ٥/٣٣، رقم ٢٦٥٥. وانظر فيه الحديث ٢٦٥٤ للأهمية.

فما أفدح أن يُسيء المرءُ الظنَّ بعَقائد المسلمين فيتهمهم جزافاً بالشرك الجلي، في حين يغفل عن رؤية نفسه مغموراً بأصناف من الشرك الخفي!! ما أفدحها من خسارة!؟

طوبى لمن شغلته عيوبه عن انتقاص المسلمين؛ وعن توهم العيب فيهم أو في علمائهم وفضلائهم، طوبى له، ثم طوبى له.

يشتغل ليلاً ونهاراً ويكتب جميع ما لاح بباله الشريف، وقد فتر الليل والنهار ولم يفتر قلمه. وصنف رسائل كثيرة في المباحث المهمة الغامضة، وكان عدد رسائله قريباً من مائة رسالة. وله من التصانيف تفسير لطيف حسن قريب من التمام. وقد اخترمته المنية ولم يكمله، وله حواش على الكشاف)[1].

لقد أتم إنتاجه بالغزارة والجودة مع تنوع العلوم التي غاص في بحارها واستخرج من دررها المعجب المدهش، فلم يقف عند التفسير، بل اشتغل بالفقه وشرح كتاب «الهداية» عمدة مؤلفات الفقه الحنفي، وله فيه متن وشرحه، ودوَّن في علم الكلام وعلم الحديث وأصوله، وعلم البلاغة والفرائض وأصول الفقه والفلسفة. وكتب في كل ذلك على سبيل التحقيق والتنقيح. ومؤلفاته في كل ذلك تفيض بالجديد من النقد والترجيح ولا يزال معظمها مخطوطاً غير مطبوع.

والعجب العاجب في ثقافة الرجل أنه كان مثلث اللغات، يتقن العربية، ويتقن التركية والفارسية أيضاً، وله فيهما تآليف تثبت أنه أبدع فيها للغاية. ويرى العلماء والنقاد في هذا خير دليل على تبحره واطلاعه على هاتين اللغتين إضافة إلى اللغة العربية[2].

أثنى عليه مترجموه ثناء عطراً، فقال فيه عبدالحيّ بن العماد الحنبلي: (شمس الدين أحمد بن سليمان الحنفي الشهير بابن كمال باشا، العالم العلامة الأوحد المحقق الفهامة صاحب التفسير...)[3].

وقال عنه تقي الدين بن عبدالقادر التميميّ: (الإمام، العالم، العلامة، الرّحَلَة، الفهامة، أوحد أهل عصره وجمال أهل مصره، من لم يُخْلف بعدَه مثله، ولم تر العيون مَنْ جمع كماله وفضله. كان، رحمه الله تعالى، إماماً بارعاً في التفسير والفقه، والحديث والنحو والتصريف، والمعاني والبيان، والكلام والمنطق

---

(١) الشقائق النعمانية، ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧.

(٢) الطبقات السنية، ص ٤١٢؛ وانظر الشقائق النعمانية، ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧.

(٣) شذرات الذهب، ص ٢٣٨.

والأصول، وغير ذلك بحيث إنه تفرَّد في اتقان كل علم من هذه العلوم، وقلما يوجد فن من الفنون إلا وله فيه مصنف أو مصنفات)[1].

(وصار إماماً في كل فن، بارعاً في كل علم، تُشد الرحال إليه، وتعقد الخناصر عليه)[2].

ولا تجد في عصره من يساويه في بلاده على الإطلاق، إذ كان فريداً في الديار الرومية في كثرة التأليف وسرعة التصنيف ووسع الاطلاع والإحاطة بكثير من العلوم. ولا ترى له نظيراً في عصره إلا في الديار المصرية في جلال الدين السيوطي، رحمه الله.

واختلف النقاد المترجمون في الموازنة بين هذين الطودين العظيمين، فذهب التميمي إلى أن ابن كمال باشا قد حاز السبق على السيوطي فقال: (وعندي أن ابن كمال باشا أدق نظراً من السيوطي وأحسن فهماً وأكثر تصرفاً، على أنهما كانا جمال ذلك العصر وفخر ذلك الدهر ولم يخلف أحد منهما بعده مثله، رحمه الله تعالى)[3].

ومضى أبو الحسنات عبدالحي اللكنوي يرجح كفة السيوطي من زاوية معينة فقال: (أقول: هو إن كان مساوياً للسيوطي في سعة الاطلاع في الأدب والأصول، لكن لا يساويه في فنون الحديث، فالسيوطي أوسع نظراً وأدق فكراً في هذه الفنون منه، بل من جميع معاصريه. وأظن أنه لم يوجد مثله بعده، وأما صاحب الترجمة فبضاعته في الحديث مزجاة، كما لا يخفى على من طالع تصانيفهما. فشتان ما بينها كتفاوت السماء والأرض وما بينهما)[4].

قلت: اتفقوا على تفضيلهما على جميع علماء ذلك العصر. واختلفوا في

---

(1) الطبقات السنية، تقي الدين التميمي، ص ٤٠٩؛ وانظر الأعلام، خير الدين الزركلي ١/١٣٣.

(2) الطبقات السنية، ص ٤١١، وهذا القول نسبه المؤلف إلى الشقائق النعمانية، والظاهر أنه من تصرفه في نقل كلامه.

(3) الطبقات السنية، ص ٤١٢.

(4) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبدالحي اللكنوي، ص ٢٢.

ترجيح فضل أحدهما على الآخر. فأما أن يكون أحمد بن سليمان كالسيوطي تماماً؛ أو أنه يليه مباشرة فلا يتوسط بينهما أحد في العلم والفضل، والحق أن لكل منهما مزيته ورجحانه في جانب من العلوم، ولا ريب أن السيوطي أطول باعاً وأعظم تضلعاً من علوم الحديث، وفي كل منهما خير عظيم وعلم غزير. رحمهما الله وجزاهما خيراً عن الإسلام والمسلمين.

توفي أحمد بن سليمان بن كمال باشا سنة أربعين وتسعمائة، رحمه الله وأجزل ثوابه.

مؤلفاتُ الإمامِ ابن كمال باشا:

إذا يممتَ وجهكَ شطر مكتبات العالم فإنك ستجد انتشار مخطوطات الإمام أحمد بن سليمان بن كمال باشا في كثير منها. قَدَّمَ الإمام للأجيال إنتاجاً علمياً خصباً غزيراً رصيناً. وإنه لكثرته يُضاهي تصانيفَ أئمةِ العلم المشهورين بوفرة التصانيف، كابن حزم وعبدالرحمن بن الجوزي وعبدالحليم بن تيمية، وصلاح الدين الصفدي، وجلال الدين السيوطي.

أما الرسائل العلمية التي دَوَّنها فإنها لا تزال موفورة في المكتبات بكثرة بالغة. وقد مرَّ بك منذ حين قول طاش كبرى زاده: (وعدد رسائله قريب من مائة رسالة)[١]. أما تقي الدين التميمي فقال: (وله رسائل كثيرة في فنون عديدة لعلها تزيد على ثلاثمائة رسالة)[٢].

وهذا التعارض في تعداد رسائله راجع إلى الاطلاع، فإن تقدير كل منهما لعدد رسائل الإمام مبني على مدى اطلاعه شخصياً. والظاهر أن كثيراً منها لم يكن متداولاً إثر وفاةِ الإمام لكونه من مسوداته. وهذا ما ألمحَ إليه طاش كبري زاده بعد أن ذكر أن عدد رسائله قريب من مائة، فقال: (هذا ما شاع بين الناس، وأما ما بقي في المسودة فأكثر مما ذكر)[٣].

---

(١) الشقائق النعمانية، ص ٢٢٧.

(٢) الطبقات السنية، ص ٤١٢؛ وانظر الفوائد البهية، ص ٢٢.

(٣) الشقائق النعمانية، ص ٢٢٧، ط. بيروت، ص ١٣٩.

وإنك لتجد مؤلفاته كثيرة مخطوطة في مكتبات العالم الرسمية، لكنك لا تجد كثيراً منها مدوناً في كتب التراجم والفهارس القديمة. ولعل ذلك عائد للسبب الذي ذكرناه، وهو أنه توفي وكثير من مؤلفاته مسودات في نظره، ولم تُتحْ له الفرصة لمراجعتها وتنقيحها على نحوٍ يطمئن إليه. وإنَّ تتبع هذه المخطوطات جميعاً أمر هام جداً، ولعله يصير ميسوراً لبعض أهل العلم عما قريب بإذن الله.

وإليك قائمة مرتبة بأسماء مؤلفات الإمام التي وقفت عليها في كتب التراجم والفهارس:

١ ـ الآداب.

٢ ـ أربعون في الحديث. (وله أكثر من كتاب في اختيار أربعين حديثاً).

٣ ـ إصلاح الإيضاح أو الإصلاح والإيضاح (كتاب في الفقه).

٤ ـ إظهار الاظهار على أشجار الأشعار (في الأدب).

٥ ـ الآيات العشر في أحوال الآخرة والحشر.

٦ ـ تجريد التجريد (في علم الكلام) ثم ألف شرحاً له.

٧ ـ تحقيق معنى الأيس والليس.

٨ ـ تحقيق مقال القائلين.

٩ ـ تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان.

١٠ ـ تصحيح لفظ الزنديق وتوضيح معاني الدقيق.

١١ ـ تعليم الأمر في تحريم الخمر.

١٢ ـ تعليقة على الدرر والغرر لملا خسرو.

١٣ ـ التعريفات.

١٤ ـ التعريف والأعلام.

١٥ ـ تغيير التنقيح «وهو متن في أصول الفقه».

١٦ ـ تغيير السراجية، ثم ألف شرحاً له.

١٧ ـ تغيير المفتاح، ثم ألف شرحاً له.

١٨ ـ تفسير القرآن العزيز، اخترمته المنية ولم يكمله.

١٩ ــ تفسير سورة الملك.

٢٠ ــ التنبيه على غلط الجاهل والنبيه.

٢١ ــ تواريخ آل عثمان (كتاب باللغة التركية).

٢٢ ــ حاشية على التلويح للتفتازاني (في أصول الفقه).

٢٣ ــ حاشية على شرح المواقف (في الكلام).

٢٤ ــ حاشية على لوامع الأسرار شرح مطالع الأنوار (في الحكمة).

٢٥ ــ حواش على أوائل البيضاوي (في التفسير).

٢٦ ــ حواش على التهافت للمولى خواجه زاده.

٢٧ ــ حواش على شرح الجغميني، لسنان باشا.

٢٨ ــ حواش على شرح المفتاح، للجرجاني.

٢٩ ــ حواش على الهداية (في الفقه).

٣٠ ــ حواش على الكشاف (في التفسير).

٣١ ــ دقائق الحقائق في اللغة، باللغة الفارسية أبدع فيه للغاية حتى قيل: (لو لم يكن له في هذا اللسان إلا هذا الكتاب لكفاه دليلاً على تبحره فيه واطلاعه على دقائقه).

٣٢ ــ راحة الأرواح في رفع عاهة الأشباح.

٣٣ ــ رجوع الشيخ إلى صباه (نُسِبَ إليه كذباً، وليس من تأليفه؛ لركاكة أسلوبه وتفاهة مضمونه).

٣٤ ــ رسائل ابن كمال، مجموعة رسائل عددها عشرون، مطبعة اقدام، استنبول ١٣١٦هـ.

٣٥ ــ رسالة في الجبر والقدر.

٣٦ ــ رسالة الكلمات العربية، نشرت في المجلد السابع، مجلة المقتبس.

٣٧ ــ ريحان الأرواح في شرح المراح.

٣٨ ــ شرح الأحاديث الأربعين. «وهو غير كتابه: أربعون في الحديث».

٣٩ ــ شرح تجريد التجريد.

٤٠ ـ شرح تغيير التنقيح (في الأصول).
٤١ ـ شرح تغيير السراجية (في الفرائض)، والمتن له.
٤٢ ـ شرح تغيير المفتاح (في البلاغة).
٤٣ ـ شرح الجامع الصحيح للبخاري.
٤٤ ـ شرح العشر في معشر الحشر.
٤٥ ـ شرح القصيدة الخمرية لابن الفارض.
٤٦ ـ شرح القنوت.
٤٧ ـ شرح كتابه في الفرائض.
٤٨ ـ شرح مشارق الأنوار للصغاني.
٤٩ ـ شرح مشكاة المصابيح.
٥٠ ـ شرح مصابيح السنة للبغوي.
٥١ ـ شرح المقالة المفردة لعضدالدين الايجي.
٥٢ ـ شرح الهداية للمرغيناني في الفروع.
٥٣ ـ طبقات الفقهاء.
٥٤ ـ طبقات المجتهدين.
٥٥ ـ فرائد الفوائد.
٥٦ ـ فريدة التحري.
٥٧ ـ الفلاح شرح المراح.
٥٨ ـ قواعد الحمليات.
٥٩ ـ كتاب بنكارستان بالفارسية على منوال كتاب كلستان.
٦٠ ـ كتاب في الأصول (متن).
٦١ ـ كتاب في الفرائض (متن).
٦٢ ـ كتاب في الفقه (متن).
٦٣ ـ كتاب في المعاني والبيان.
٦٤ ـ الكلام على البسملة والحمدلة.

٦٥ ـ اللواء المرفوع.

٦٦ ـ مجموعة رسائل تحتوي على ست وثلاثين رسالة (مخطوط).

٦٧ ـ محيط اللغة، كتاب في اللغات الفارسية والعربية والتركية.

٦٨ ـ مدح السعي وذم البطالة.

٦٩ ـ مرآة الجنان.

٧٠ ـ المنيرة في المواعظ.

٧١ ـ مهمات المسائل في الفروع.

٧٢ ـ النجوم الزاهرة في أحوال مصر القاهرة.

٧٣ ـ نزاع الحكماء والمعتزلة والأشاعرة.

٧٤ ـ نزهة الخاطر.

٧٥ ـ يوسف وزليخا: منظومة تركية.

* * *

وصف نسختَي المخطوط

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسختين صحيحتين في مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة حرسها الله وزادها رفعة وشرفاً.

النسخة الأولى:

ضمن المجموع ١٢٥ بدءاً من الصفحة الأولى وهي نسخة قديمة قريبة العهد بحياة المؤلف، رحمه الله. خطها جميل جداً، وجميع كلمها منقوط وبعضه مضبوط بالشكل. كتبت الآيات فيها بالمداد الأحمر، وهناك خط أحمر صغير عند رأس كل فقرة، وعلى النسخة تمليكات وأختام وعليها تصحيحات وتعليقات بالخط نفسه، وقد ثبت على وجه النسخة ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الملك

أحمد بن كمال باشا الوزير»

ويبدو فيها الدقة والضبط بشكل جلي. ولذلك اعتبرناها الأصل في التحقيق ورمزنا إليها بالحرف «أ».

وما يثبت أنها نسخة وثيقة، كتابتها بعد سبع وثلاثين سنة من وفاة المؤلف، إذ جاء في آخرها: (تم في شهر محرم الحرام يوم الأربعاء اليوم التاسع عند غروب الشمس في سنة سبع وسبعين وتسعمائة). وأنها قوبلت مقابلة عالية قلَّ أن تحظى

بها إحدى المخطوطات، فقد جرتْ مقابلتها على نسخة قوبلت بنسخة المؤلف ذاتها، فقد كتب في آخرها: (قوبل بالنسخة التي قوبلت من نسخة المصنف).

النسخة الثانية:

تقع ضمن مجموع رقمه ١٥١ تبدأ من الصفحة ٨١. والآيات فيها بمداد أحمر. خطها جيد منقوط وعليها بعض الأختام، وعليها تعليقات، ودُوّن على الصفحة الأولى من النسخة ما يلي: .

«رسالة في تفسير سورة الملك للعلامة ابن كمال باشا زاده عليه الرحمة والغفران

بسم الله الرحمن الرحيم»

وليس فيها تاريخ لكتابتها ولم يذكر اسم كاتبها، ويبدو أنها متأخرة في الكتابة عن النسخة الأولى، وأنها على ضبطها لم تبلغ مرتبة الأولى دقة وضبطاً. ورمزت لها بالحرف «ب».

* * *

منهج تحقيق المخطوط

١ ــ اعتمدت على النسخة الأولى « أ » واتخذتها أصلاً، لأنها أصح وأقرب عهداً بالمؤلف. وهي مقابلة على نسخة قد قوبلت من قبل على نسخة المؤلف ذاتها.

٢ ــ ما وجدته غير سويّ في النسختين فقد صححته معتمداً على المراجع التي استقى منها المؤلف مع ملاحظة السياق. فأمكن ــ بحمد الله تعالى ــ تحقيق النص وإيراده صحيحاً سليماً من أخطاء النسخ وتصحيفه.

٣ ــ واستدركت على المؤلف باستكمال بيان معاني بعض الآيات من كتب التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول، ليتم ما أراده المؤلف في منهجه من جمع بينهما. فقد ظهرت لي الحاجة في بعض المواطن إلى مزيد من البيان، فلبيت هذا المطلب باقتصار على الضروريات والمهمات.

٤ ــ أكملت نصوص الآيات التي استشهد بها المؤلف وعزوتها إلى مواقعها في سورها، ليسهل على القارىء الرجوع إليها في موضعها من المصحف ومصادر التفسير.

٥ ــ وخرّجت ما في المخطوط من الأحاديث. فإن الحديث مفسر للقرآن أيضاً، كما أسلفنا.

٦ ــ وضعتُ نصوص سورة الملك في أثناء التفسير، ليتم للقارىء ربط

المعنى بالنص بسهولة. وهذه طريقة بعض أكابر المفسرين، ومنهم العلامة ابن كثير، رحمة الله عليه.

وأسأله تبارك وتعالى أن يقبل جهدي خالصاً لوجهه الكريم، والله ولي السداد والتوفيق، والحمد لله رب العالمين.

* * *

للمولى الفاضل كمال باشا زاده ره

تبارك تعالى عما يدركه الحواس والاوهام وتعاظم عما يحيط به القياس والافهام
الذي بيده بقبضة تصرفه الملك يتصرف فيه كيف يشاء والملك عالم الاجسام
كما ان الملكوت عالم الارواح ولذكره بصفة التبارك باعتبار تصرفه في عالم الملك وعند
اياه بحسب مشيئته بالتبارك الذي هو غاية العظمة في افاضة الخير والبركة والزيادة
فيها وباعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى ارادته بالتسبيح الذي هو كونه منزها
عن مشابهة الاجسام حيث قال فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واورد كلا بما
يناسبه لان الزيادة والبركة يناسب الاجسام في نموها وازديادها والتنزه
يناسب المجردات عن المادة. وهو على كل شيء قدير سواء كان ذلك الشيء من عالم
الملك كما او من عالم الملكوت ففيه دفع ما عسى ان يسبق الى الوهم من تخصيص الملك
بالذكر اختصاص الحكم السابق به. الذي بدل من الذي قبله او خبر مبتدأ محذوف
خلق الموت والحيوة الخلق بمعنى الايجاد ان كان الموت ضد الحيوة وبمعنى التقدير
ان كان عدمها وانما قدم الموت عليها لانه ادعى الى حسن العمل فذكره في المقام اهم
واما قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم فالموت فيه على المعنى المجازي ليبلوكم ليعاملكم
معاملة المختبر من البلوى وهو الخبرة ايكم احسن عملا في الدنيا بالزهد في امورها
والرغبة عنها وكما ان الاختبار في قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا غير مخصوص بالمكلفين بالشرايع كذلك هاهنا غير مخصوص بهم جملة واقعة
موقع المفعول الثاني لفعل البلوى من حيث انه تضمن معنى العلم فليس هذا من باب التعليق

الصفحة الأولى من النسخة الأصل «أ»

رسالة في تفسير سورة الملك للعلامة بن كمال باشا
زاده عليه الرحمة والغفران

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تعالى عما يدرك الحواس والاوهام وتعاظم عما يحيط به
بصائر والافهام الذي بيده بقبضة قدرته الملك يتصرف
فيه كيف يشا والملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم الارواح
ولذلك وصف ذاته باعتبار تصرفه في عالم الملك وتدبيره
اياه بحسب مشيئته بالتبارك الذي هو غاية العظمة في
افاضة الخير والبركة والزيادة فيها وباعتبار تسخيره عالم
الملكوت بمقتضى ارادته بالتسبيح الذي هو كونه منزها عن
مشابهة الاجسام حيث قال فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شي واورد كلا بما يناسب لان الزيادة والبركة يناسب
الاجسام في كونها وازديادها والتنزه يناسب المجردات
عن المادة وهو على كل شي قدير سواء كان ذلك الشي من عالم
الملك او من عالم الملكوت ففيه دفع وما عسى ان يسبق الى
الوهم من تخصيص الملك بالذكر اختصاص الحكم السابق
به الذي بدل من الذي قبله او خبر مبتدا محذوف خلق الموت
والحياة الخلق بمعنى الايجاد ان كان الموت ضد الحياة وبمعنى التقدير
ان كان عدمها وانما قدم الموت عليها لانه ادعى الى حسن العمل
فذكره في المقام اهم واما قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم
فالموت فيه على المعنى المجازي ليبلوكم ليعاملكم معاملة
المختبر من البلوى وهو الخبرة ايكم احسن عملا في الدنيا بالزهد
في امورها والرغبة عنها وكما ان الاختبار في قوله تعالى انا
جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
غير مخصوص المكلفين بالشرائع كذلك ههنا غير مخصوص ايكم
جملة واقعة موقع المفعول الثاني لفعل البلوى من حيث انه

الصفحة الأولى من النسخة «ب»

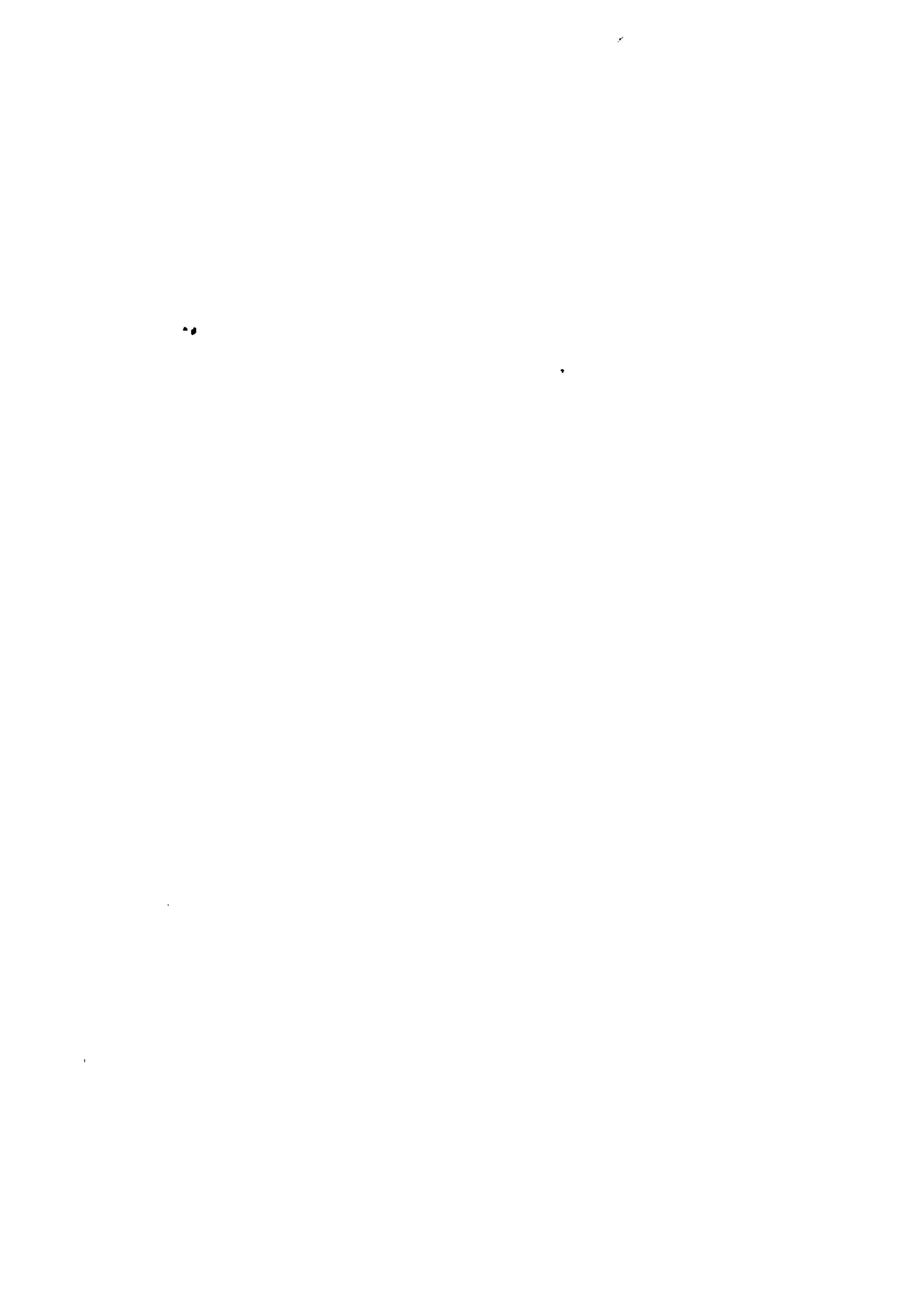
تفسير سورة الملك

للإمام أحمد بن سليمان بن كمال باشا

المتوفى سنة ٩٤٠هـ

حققه وأكمل فوائده

الدكتور حسن ضياء الدّين عتر



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

﴿تبارك﴾: تعالى عما يدرك الحواس والأوهام، وتعاظم عما يحيط به القياس والأفهام[1].

---

(١) ﴿تبارك...﴾: تعالى وتعاظم وارتفع. قاله الأزهري. وصيغة ﴿تبارك﴾: تفاعل، من البركة وهي الكثرة والاتساع، يقال: بُورك الشيءُ، وبورك فيه، قاله ابن عرفة. (الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٢٣).

والبركة: النماء، والزيادة حسية أو عقلية، ونسبتها إلى الله سبحانه لتعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن البركة يرجع معناها إلى الامتداد، وكل ما زاد على الشيء فقد علاه. (روح المعاني ٢٨/٣؛ وغرائب القرآن ١٨/١٠).

وصيغة التفاعل في ﴿تبارك﴾ تفيد المبالغة بتعاليه وتقدسه عما سواه على أكمل وجه وأبلغه، وهذا اللفظ ﴿تبارك﴾ فعل ماض لا يتصرف إذْ لم يجيء عن العرب منه مضارع ولا أمر. والأكثر عندهم إسناده إلى غير مؤنث. وذهب كثير من العلماء =

﴿الذي بيده﴾: بقبضة قدرته.

﴿الملك﴾: يتصرف فيه كيف يشاء[1]. والملك: عالم الأجسام، كما أن الملكوت عالم الأرواح. ولذلك وُصفتْ ذاته باعتبار تصريفه عالم الملك وتدبيره إياه بحسب مشيئته بالتبارك، الذي هو غاية العظمة في إفاضة الخير والبركة والزيادة فيها؛ وباعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى إرادته بالتسبيح[2]؛ الذي هو كونه منزهاً عن مشابهته الأجسام؛ حيث قال: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾[3].

= إلى أن هذه الكلمة ﴿تبارك﴾ نظراً لاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وإنبائها عن نهاية التعظيم فإنه لا يجوز استعمالها في حق غير الله كما في صيغة «تعالى، سبحان».

وأما إسناد فعل ﴿تبارك﴾ إلى اسم الموصول في قوله: ﴿الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾، ففيه استدلال بالصلة على تحقيق مضمون هذا الفعل. وقد اقتصرت على تبيان الرأي عند المحققين في تفسير ﴿تبارك﴾، وزبدة قولهم أنها بمعنى: «تعالى وتعاظم وتقدس سبحانه في ذاته وفي علمه الدقيق الشامل وقدرته الباهرة وهيبة جلاله وسطوة عظمته وفي جميع صفاته وأفعاله».

(روح المعاني ٨/١٣٩ و١٨/١٥ و ٢٣٠ ـ ٢٣١ و٢٨/٣؛ والإتقان في علوم القرآن ٢/١٨٨؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي ٥/١٧٦ ـ ١٧٧).

(١) قال العلامة ابن كثير يفسر ﴿بيده الملك﴾: أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل. لقهره وحكمته وعدله. (تفسير القرآن العظيم ٤/٣٩٦).

(٢) مقصوده: ووصفت ذات الله تعالى في القرآن أيضاً بالتسبيح (سبحان) باعتبار التغاير التام بينه وبين سائر المخلوقات، فإنه تبارك وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (سورة الشورى: الآية ١١).

(٣) تمام الآية: ﴿وإليه ترجعون﴾ (سورة يس: الآية ٨٣).

وأورد كلاً بما يناسبه[1]، لأن الزيادة والبركة تناسب الأجسام في نموها وازديادها، والتنزه يناسب المجرّدات عن المادة.

﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾: سواء كان ذلك الشيء من عالم المُلك أو من عالم الملكوت، ففيه دفع ما عسى أن يسبق إلى الوهم من تخصيص المُلك بالذّكر اختصاص السابق به[2].

﴿**الذي**﴾: بدل من «الذي» قبله[3]، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿**خلقَ الموتَ والحياةَ**﴾: الخلق: بمعنى الإيجاد؛ إن كان الموت ضد الحياة، وبمعنى التقدير؛ إنْ كان عدَمَها. وإنما قدم الموت عليها لأنه أَدْعىٰ إلى حسن العمل، فذِكْره في المقام أهم. وأمَّا قوله تعالى: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾[4] فالموت فيه على المعنى المجازي.

﴿**ليَبْلوَكم**﴾: ليعاملكم معاملةَ المختبر[5]، من البلوى: وهي الخبرة.

---

(١) (ب): يناسب.

(٢) هذا التعبير القرآني: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ يفيد القارىء أن قدرته تعالى ليست قاصرة على عالم الملك، بإيراده كلمة (شيء) نكرة لإفادة العموم. فإنه تعالى قدير على كل شيء في الوجود، ويشمل ذلك جلائل الأمور ودقائقها ـ في عالم الملك والملكوت ـ إذ الجميع تحت قدرته سواء. (إرشاد العقل السليم ٥/١٧٧).

(٣) وهو داخل معه في حكم الشهادة بتعالي عظمة الله. (إرشاد العقل السليم ٥/١٧٧).

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨.

(٥) (ب): المخبر.

﴿أيكم أحسنُ عملاً﴾: في الدنيا بالزهد في أمورها والرغبة عنها[1]، وكما أنَّ الاختبار في قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينـةً لها لنبلوهم أيُّهم أحسنُ عملاً﴾[2] غير مخصـوص بالمكلفين[3] بالشرائع، كذلك ههنا غير مخصوص. ﴿أيكم﴾[4] جملة واقعة موقع المفعول الثاني لفعل البلوى؛ من حيث أنه تضمَّن[5] معنى العلم، فليس هذا من باب التعليق / لأن الجملة المعلق عنها يجب أن تقع موقع المفعولين معاً. لمّا قدم الموت، الذي هو أثر صفةِ القهر على الحياة التي هي أثر صفة اللطف؛ قدَّم[6] صفة القهر على صفة اللطف[6] في قوله: [٢/أ]

﴿وهو العزيز﴾: الغالب الذي لا يُعجزه من أساء العمل.

﴿الغفور﴾: الستار الذي لا ييأس منه[7] أهل الإساءة والزلل[8].

---

(١) ومعنى ﴿أحسن عملاً﴾: خير عملاً، ولم يقل أكثر عملاً، فإن العبرة شرعاً بحسن العمل لا بكثرته وحدها، فإن صالح العمل فيه سعادة الدنيا وثواب الآخرة. ورجال الفكر والاجتماع في عصرنا صاروا يدركون ويعلنون أن تقدم الأمم مرهون بصلاح الأعمال لا بكثرتها فحسب، ويدخل في هذا ما يُعبَّر عنه حديثاً بـ «مشكلة الكمِّ والنوع».

(٢) سورة الكهف: الآية ٧.

(٣) (ب): المكلفين.

(٤) ﴿أيكم﴾ من (ب)، وفي الأصل: بهم.

(٥) (ب): يتضمن.

(٦ ــ ٦) ما بين الرقمين ساقط من (ب).

(٧) (ب): من.

(٨) (أ، ب): الذلل؛ بالذال، وهو خطأ نسخي ظاهر.

﴿**الذي**[1] **خلق سبع سماوات طباقاً**﴾: مُطابقة بعضُها فوق بعض؛ من طابَقَ النعل: إذا خصفها طبقاً على طبق، أو جمع «طبق» كجَمَل وجِمالٍ، أو طَبقَة كثمرة وثمار[2]؛ صفة إنْ كان جمعاً، أو وصف بالمصدر؛ أو على ذات طباق، أو طوبقت [3] طباقاً، والخطاب في:

﴿**ما ترى في خلق الرحمن**﴾: لكل أحد[4]؛ للتعجب العام من التناسب التام في خلقهن.

﴿**من تفاوت**﴾: من اختلاف في الخلقة. وقرىء «من تفوّت» ومعنى البنائين واحد، كالتعاهد والتعهد. وحقيقة التفاوت عدم التناسب، كأن بعض الشيء يفوت بعضاً ولا يلائمه[5]. وقوله: ﴿في خلق الرحمن﴾ من باب وضع الكبرى موضع النتيجة إثباتاً للحكم بعلته.

---

(١) ﴿الذي﴾ ينتظم مع الموصولين السابقين في سلك الشهادة بتعاليه تعالى؛ ومع الموصول الثاني في كونه مداراً للبلوى. (إرشاد العقل السليم ١٧٨/٥).

(٢) في هامش (أ) التعليق الآتي: ومن قال: كرحبة ورحبات فقد سها، لأن «طَبْقة» بسكون الباء غير مستعملة.

(٣) (ب): طابقت.

(٤) هذا من توجيه الخطاب إلى مخاطب غير معين، وليس خطاباً خاصاً بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، بل هو في الواقع لتعميم الخطاب لكل من يصح أن يخاطب؛ بقصد استجلاب الصورة إلى ذهن السامع مهما كان حاله وعلمه. وهذا في نظرنا من أساليب القرآن في التصوير الحي، وخاصة إذا أورد في خطابه أحد مشتقات مادة (رأى). وقد شرحناه في كتابنا: «بيّنات المعجزة الخالدة»، ص ٢٨٥ ــ ٢٨٨.

(٥) وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا نقص ولا عيب ولا خلل. (تفسير القرآن العظيم ٣٩٦/٤).

وذلك أن أصل الكلام: ما ترى فيهن من تفاوت، لأنه من خلق الله تعالى، وما ترى في خلقه من تفاوت. وفي إضافته إلى الرحمن إشعار بأن ذلك التناسب أثر الرحمة لأنه مدار نظام العالم[1]. والجملة صفة ثانية للسبع[2].

﴿فارجع البصر﴾: متعلق بما قبله على معنى التسبيب. أيْ إنْ أردتَ أنْ تتحقق[3] ما أخبرتك به فارجع البصر[4].

---

(١) وفي إضافة الخلق إلى الرحمن في قوله تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمن...﴾ تعظيم لله يليق بجلاله، وأنه تعالى خلق الكون بقدرته القاهرة رحمة وتفضلاً وأغدق علينا بإبداعه نعماً جليلة كريمة، وأن تنسيقه وجعله متناسباً من رحمته تعالى بخلقه.
قلت: وفي الآية دلالة على أن نظام الكون واحد فالخالق المنظم واحد لا شريك له. وهذا ينقض الوثنية الجاهلية؛ والوثنية اليونانية القائمة على اعتقاد تعدد أنظمة الكون تعدداً يجعله عوالم منفصلة تماماً، لكل منها إله مستقل ونظام منفصل: إله البحار، إله الجبال... وهكذا. لقد أفادت الدراسات العلمية المعاصرة أن وحدة نظام الكون حقيقة علمية قطعية؛ بينما دلت آيات قرآنية على هذا منذ أربعة عشر قرناً، وهذا من إعجاز القرآن العلمي الذي يفيد العاقل علم اليقين بأن القرآن العظيم تنزيل رب العالمين على محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) قوله تعالى: ﴿سبع سماوات﴾ صفته الأولى طباقاً، وله صفة ثانية هي جملة: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾.

(٣) (أ): يتحقق.

(٤) المراد: فارجع البصر حتى يتضح لك بالمعاينة انسجام جميع جوانب ملك الله تعالى. إذن إرجاع البصر يتسبب في التوصل إلى إدراك وحدة الكون. ولم يقل المولى جل جلاله فأبصر أو فانظر، بل آثر لفظ ﴿فأرجع البصر...﴾ يعني: قد نظرت إليها مراراً، فانظر إليها مرة أخرى متأملاً فيها لتعاين ما أُخبرتَ به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها.

﴿هل ترى من فطور﴾: صدوع وشقوق، جمع فُطْر، وهو الشق. والمراد الخَلل[١].

﴿ثم ارجع البصر﴾: معنى التراخي في «ثم» هو: أن يتوقف بعد كلال البصر بكثرة المراجعة حتى يجمَّ[٢] بصره، ثم يعادُ ويعاد فلا ينقلب إليه إلا بالبعد عن المطلوب والكلال، فلا[٣] يعثر على شيء من التفاوت والفطور. والمراد بالتثنية في:

﴿كرتين﴾: التكرار[٤] والتكثير، كما في قولهم: لبيك وسعديك. ولذلك أجابَ الأمرَ بقوله:

﴿ينقلبْ إليكَ البصرُ خاسئاً﴾: بعيداً عما طلبتَ كأنه طرد عنه بالصَّغار[٥].

﴿وهو حسير﴾: كليل من كثرة المراجعة وطول المعاودة.

---

(١) والاستفهام ﴿هل ترى من فطور﴾: استفهام إنكاري، يعني: لا تضاد ولا فطور بل كون واحد متماسك منسجم، يزخر بآيات باهرات تدل على عظمة الخالق جلت حكمته وقدرته ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق * أوَلَمْ يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (سورة فصلت: الآية ٥٣). وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي ٢/٢٣٦.

(٢) «يجم»: يستريح فيذهب إعياؤه. والجيم تجوز فيها الحركات الثلاث، والضم أعلى. (لسان العرب مادة: جمم ١٤/٣٧١).

(٣) (ب): ولا.

(٤) (ب): التكرير.

(٥) قال ابن عباس: خاسئاً: ذليلاً. وقال مجاهد: صاغراً. (تفسير ابن كثير ٤/٣٩٦).

﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾: القربى منكم[1]، وفي هذا التوصيف[2] دلالة على أن الزينة في الواقع لا في الرؤية، إذْ لا تمايز بين دنياها وعلياها[3] في النظر[4].

[٣/أ] ﴿بمصابيح﴾: / استعيرت للكواكب المضيئة بالليل، والتنكير للتنويع، أي بمصابيح ليست من جنس مصابيحكم[5].

﴿وجعلناها رجوماً﴾: جمع «رَجَم» بالفتح وهو مصدر، سمي به ما يُرجم به[6].

﴿للشياطين﴾: أي ضَمَمْنا إلى التزيين فائدةً أخرى جليلة هي رجم الشياطين التي تسترق السمع بالشهب المنقضة[7] وقد عيّن هذا

---

(١) بعد لفت النظر ــ سابقاً ــ إلى خلو السماوات عن الخلل والقصور جاءت هذه الآية تبين أن السماوات في غاية الحسن والبهاء والجمال. (إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٥/١٧٨).

(٢) (ب): الوصف التوصيف.

(٣) (ب): عليها.

(٤) في حاشية (ب): «قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك، فقد تكلف ما لا علم له به. كشاف». وفي استنساخ النص تصحيف ظاهر، وقد ضبطناه من الكشاف، للزمخشري ٤/٤٦٢.

(٥) انظر الكشاف ٤/٤٦٢.

(٦) بـه: ليست في (ب).

(٧) «عاد الضمير في قوله ﴿وجعلناها رجوماً﴾ على جنس المصابيح لا على عينها، لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء، بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها. والله أعلم». انظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤/٣٩٦.
وقال الزمخشري: «ومعنى كونها مراجم للشياطين: أن الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب، لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها، لأنها =

المعنى قوله تعالى: ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾[1] والقرآن يفسر بعضه بعضاً، سيما[2] في حكم واحد. فلا وجه لما قيل: معناه وجعلناه ظنوناً لشياطن[3] الإنس وهم المنجمون. وفيه دلالة على أن الكواكب التي استعير لها المصابيح في السماء الدنيا[4]، لأن انقضاض الشهب لا يتصور من سائر السماوات. وقد مر في تفسير سورة الأنبياء أن تحت السماء فَلك، هو موج مكفوف؛ فيه الكواكب كلها. وعن كعب أن السماء الدنيا موج[5] مكفوف.

﴿**وأعتدنا لهم**[6] **عذاب السعير**﴾: في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا. والسعير: أشد الحريق.

= قارَّة في الفلك على حالها. وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار، والنار ثابتة كاملة». الكشاف ٤/٤٦٢. وقال أبو السعود ٥/١٧٨: «والشهب مقتبسة من الكواكب».

(١) صرح القرآن بترتيب الفائدتين معاً ﴿إنا زينا السماء بزينة الكواكب * وحفظاً من كل شيطان مارد﴾ (الصافات: الآيات ٦ ــ ٧). وانظر سورة فصلت: الآية ١٢.
أقول: وهذا الوصف للشهب من علمائنا الأقدمين في ضوء القرآن قد جاءت به الأبحاث الفلكية العلمية المعاصرة، فتأمل!.

(٢) (أ، ب): سيما، وهو خطأ مشهور. والصواب: لا سيما. (لسان العرب، مادة: سوا ١٩/١٣٧).

(٣) (ب): وجعلناها ظنوناً بشياطين.

(٤) مراده أن في الآية دلالة على أن الكواكب موجودة في السماء الدنيا دون غيرها، وهذا استدلال قوي بارع نفى به المؤلف قول بعض العلماء باحتمال وجود الكواكب في السماوات الأخرى، وأثبت أن وجودها قاصر على السماء الدنيا.

(٥) موج: ليست في الأصل.

(٦) اعتدنا لهم: هيأنا للشياطين.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

﴿وللذين كفروا بربهم﴾: من الثقلين.

﴿عذاب جهنم﴾: وقرىء بالنصب[1] على أن «للذين» عطف على «لهم» و «عذاب جهنم» على «عذاب السعير».

﴿وبئس المصير﴾: المرجع.

﴿إذا ألقوا فيها﴾: طُرحوا في جهنم كما يُطرح الحطب في النار العظيمة.

﴿سمعوا لها﴾: لجهنم.

﴿شهيقاً﴾: صوتاً منكراً كصوت الحمار. شبَّه حسيسها الفظيع بالشهيق. قال ابن عباس رضي الله عنه[2]: «الشهيق لجهنم عند إلقاء الكفار فيها: تشهق إليهم شهقة البغلة للشعير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف»[3].

وأما الزفير والشهيق للكفار المذكوران[4] في قوله تعالى: ﴿لهم

(١) قراءة النصب (عذاب) على تقدير: وأعتدنا... عذابَ جهنم.
(٢) (ب): رحمه الله.
(٣) ذكر السيوطي نحوها في رواية مطولة، أخرجها عبد بن حميد. (الدر المنثور للسيوطي ٦/٢٤٨).
(٤) (ب): المذكورين.

فيها زفير وشهيق﴾[1] فذلك بعد القرار في النار؛ وبعد ما قيل لهم: ﴿اخسئوا فيها ولا تُكلمون﴾[2]، فصاروا لا يتكلمون، ولم يبق لهم إلا أصوات[3] منكرة ولا حروف معها.

﴿**وهي تفور**﴾[4]: ترتفع بهم بالغليان؛ فإن الفور ارتفاع الشيء بالغليان؛ لا الغليان نفسه. ومنه الفوارة لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان.

﴿**تكاد تميز**﴾: تتميز، أي تنقطع وتتفرق.

﴿**من الغيظ**﴾: على الكفار، تمثيل لشدة اشتعالها بهم[5]. ويجوز أن يراد غيظ الزبانية، وأسند إليها للملابسة. والغيظ: الغضب الكامن. ولا يلزم أن يكون من العجز كما توهمه / الجوهري لقوله [٤/أ] تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾[6] فإنه في مقام المدح، والعاجز بمعزل عنه.

﴿**كلما أُلقي فيها فوج**﴾: من الكفار المكذبين للرسل بدلالة قوله: «فكذّبنا» ولا حجة فيها للمرجئة على أنه لا يدخل النار أحد إلا الكفار، لأنه بيَّن حال الداخلين فيها زمراً، وسكت عن حال الداخلين[7]

---

(١) سورة هود: الآية ١٠٦.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٠٨.
(٣) (ب): الا صوت.
(٤) قال الزمخشري: «تفور: تغلي بهم غليان المرجل بما فيه».
(٥) (ب): اشتغالهم بهم. قال أبو السعود: «من شدة الغضب عليهم، فإنه صريح في أنه من آثار الغضب عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ ».
(٦) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.
(٧) (ب) بزيادة: «فيها».

فرادى. فيجوز أن يكون عصاة المؤمنين دخولهم فيها[1] فرادى.

﴿سألهم﴾: أي قال لهم، على ما صرح به في سورة الزمر[2]. وفي التعبير عنه بالسؤال غير مُوَفّ حقه[3] بالتعدية إلى مفعوله الثاني بعن تنبيه[4]، على أنه ليس بسؤال حقيقة، بل تقريع وتوبيخ في صورة سؤال.

﴿خزنتها﴾: حفظة جهنم، وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها توبيخاً لهم.

﴿ألم يأتكم نذير﴾: رسول من جنسكم يُخوِّفكم من هذا العذاب. وحمل النذير على ما في العقول من الأدلة المحذرة المخوفة يرده قوله تعالى: ﴿وقال لهم خزنتُها ألَمْ يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاءَ يومكم هذا﴾[5].

﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير﴾: اعتراف منهم بأن الله تعالى أزاحَ عللهم[6] بإرسال الرسل. وحمل النذير على معنى الجمع؛ لمساعدة الصيغة له[7]؛ لا يتحمله المقام، لأن معنى:

﴿فكذبنا﴾[8]: فكذب كل واحد منا النذير الذي جاءنا. وكل

---

(١) «فيها» ليست في (ب).
(٢) سورة الزمر: الآية ٧١.
(٣) في (ب): «غير معرف حقيقة».
(٤) في (ب): «بعد بليس» موضع «بعن، تنبيه». قلت: غير خاف عليك تقدير الكلام «وفي التعبير عنه بالسؤال تنبيه...».
(٥) تمام الآية: ﴿قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ (سورة الزمر: الآية ٧١).
(٦) (ب): «عليهم»، وهو تصحيف.
(٧) «له»: ليست في (ب).
(٨) (ب): بزيادة «أي».

واحد منهم لم يكذب رسلاً متعددة جاؤوهم. كيف وقوم نوح ما جاءهم إلا نوح عليه السلام.

﴿وقلنا ما نزَّل الله من شيء﴾: أي فكذَّبنا وأفرطنا في التكذيب، حتى نفينا الإنزال والإرسال رأساً. وعلى وفق هذا ورد ما في حذف المفعول من الإيماء إلى أن تكذيبهم لم يكن لرسولهم خاصة. فقولهم:

﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾: خطاب لرسولهم ولأمثاله على التغليب، أو إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل. أشار أولاً إلى عموم تكذيبهم للرسل، وبعدما صرحوا بما يقتضي ذلك أخرجوا ما في حيز الإشارة إلى معرض العبارة. ويجوز أن يكون من كلام الخزنة على إرادة القول، والمراد بالضلال: الهلاك، أو الضلال في الدنيا حكاية لما كانوا عليه فيها.

﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾: سماع تفهم بتفهيم الغير، كقوله تعالى: ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾[1].

﴿أو نعقل﴾: من عند أنفسنا / بالتأمل[2] في الآيات الظاهرة [٥/أ] الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته، والبينات الباهرة القائمة على صحة دعوى الرسل. وقيل: أي نسمع[3] سماع قبول وطاعة؛ أو نعقل عقل متفكر متأمل. وكلمة «أو» بمعنى الواو، كما في قوله تعالى: ﴿إنْ يشأ يرحمكم أو إنْ يشأ يعذّبْكم﴾[4]، إذ لا استقلال في كل من السمع

(١) تمام الآية: ﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ (سورة الأنفال: الآية ٢٣).
(٢) (ب): بالتأويل.
(٣) (ب): يسمع.
(٤) (أ): «نعذبكم» والصواب كما أثبتناه، والآية من سورة الإسراء: ٥٤.

والعقل في الحكم المذكور بعده. أو تنزيل لشطر[1] العلة في منزلة تمامها؛ تفصيلاً لمواضع التفريط، واعتناء بشأن كل منها في مقام التحسّر.

[2]﴿**ما كنا في أصحاب السعير**﴾: في جملة من أُعدت النار لهم[2].

﴿**فاعترفوا بذنبهم**﴾: حين لا ينفعهم الاعتراف. وفي إفراد الذنب؛ اعتباراً لأصله؛ إشارة إلى أن ما اعترفوا به أمر مشترك بينهم وهو الكفر؛ بسبب تكذيب الرسل.

﴿**فسُحقا لأصحاب السعير**﴾: «السَحق» بتحريك الحاء وتسكينها: البُعد[3]، وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء، أي فأسحقهم سحقاً. و«أصحاب السعير»: الشياطين، لأن إعداده كان لهم، لا كل مَنْ دخل فيه. وقد أُشير إلى ذلك في سباق[4] كلامهم[5]،

---

(١) (ب): لشرط.

(٢ـ٢) ما بين الرقمين ساقط من (ب).

(٣) فسحقاً: بعداً لهم من رحمته تعالى، وهو دعاء عليهم، وانتصابه على أنه مصدر مؤكد: أي سحقهم الله تعالى سحقاً. وقرأ أبو جعفر والكسائي بضم الحاء. (روح المعاني ٢٩/١٢).

(٤) (ب): سياق.

(٥) أصحاب السعير: هم الشياطين، أما الكافرون فداخلون في عدادهم بطريق التغليب. (إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٥/١٧٩).

فالسعير أعدت أصلاً للشياطين، كما سبق في قوله تعالى: ﴿وجعلناها رجوماً للشياطين، وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ وقد أفاد قول الكافرين السابق أنهم أُلحقوا بأصحاب السعير إلحاقاً: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾.

حيث قيل: «في أصحاب السعير» ولم[1] يقل: من أصحاب السعير[1]. فلما فصل فيه بينهم وبين أصحاب السعير كان أصل الكلام: فسحقاً لهم ولأصحاب السعير. وإنما عدل عنه إلى ما ذكر تغليباً لأصحاب السعير عليهم، للتحقير[2] والتعليل والمبالغة في التهديد على وجه الإيجاز[3]. ومن وَهَمَ أنَّ الإيجاز نكتة أخرى للتغليب فقد وهم. وإن[4] كلاً مما ذكر يتيسر بدون التغليب، إلا أنه لا يكون على وجه الإيجاز.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾

﴿**إن الذين يخشون ربهم بالغيب**﴾: الخشية: خوف يُشْعِرُ به تعظيم المخشيِّ، مع المعرفة به؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[5]، وإنما قال: «بالغيب» إذ عند العيان لا يبقى للخشية شأن[6].

(١ ـ ١) ساقط من (ب).

(٢) إذْ أفاد بذلك أنهم صاروا في مستوى الشياطين وجملتهم. قال الألوسي: «ولما غَلَّب سبحانه وتعالى أصحاب السعير، وهم الشياطين على الكفار، فقد جعل الكفار من قبيل الشياطين، فكأنهم هم بأعيانهم، وفيه من المبالغة ما لا يخفى». (روح المعاني ٢٩/١٣).

(٣) وهذا من إعجاز الإيجاز في القرآن، إذ يؤدي معاني كاملة بعيدة المرامي في عبارة قصيرة دون خلل.

(٤) (ب): فإن.

(٥) تمام الآية: ﴿إن الله عزيز غفور﴾ (سورة فاطر: الآية ٢٨).

(٦) (ب): مشان.

﴿لهم مغفرة وأجر كبير﴾: متعلق التخصيص المستفاد من تقديم الجار والمجرور مجموع الأمرين، فلا يلزم اختصاص مغفرة الذنوب بالذين يخشونه تعالى.

﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾: ظاهرُهُ الأمر بأحد الأمرين[1]؛ الإسرار والإجهار. ومعناه: المبالغة في استوائهما في علم الله تعالى. ثم علله بقوله تعالى:

﴿إنه عليم بذات الصدور﴾: أي بضمائرها من غير أن تترجم الألسنة عنها، فكيف لا يعلم ما تكلم به![2] ثم أنكر بقوله:

﴿ألا يعلم مَنْ خَلَق﴾: أي ألا يحيط علماً بالمُسَرّ والمُجْهَر مَن خلقَ الأشياء كلها.

﴿وهو اللطيف الخبير﴾: وحاله أنه[3] المتوصل علمه لما بطن من خلقه وما ظهر[4]، فهو تذييل[5] بعد التعليل. روي أن مشركي مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه

---

(١) «الأمرين» ليست في (أ).

(٢) أقول: وفي هذا تحذير للعبد من مباشرة السيئات سراً، تستراً عن أعين الناس، فإنه مفضوح أمام رب الناس الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، بل الخفيات في علمه تعالى كالظاهرات. والرأي الذي ذهب إليه المؤلف في تفسير: ﴿يخشون ربهم بالغيب﴾ هو الراجح من أقوال المفسرين. يدل عليه السياق وحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٦ ــ ٣٧.

(٣) (أ، ب): أن. انظر العبارة نفسها في تفسير أبـي السعود ٥/١٨٠.

(٤) (أ): أظهر.

(٥) (ب): تذلل.

السلام بما قالوا فيه ونالوا منه. فقالوا فيما بينهم: أسرّوا قولكم كيلا يسمع إله محمد. فنزلت[1].

﴿هو الذي جعلَ لكمُ الأرض ذلولاً﴾: لينة ليسهل لكم التصرف[2] فيها بالحركة والسكون وغير ذلك[3].

﴿فامشوا في مناكبها﴾: شُبِّهَتِ الأرضُ في غاية تذليلها بالبعير المُذلَّل. والمشْي في المناكب مَثَلٌ لفرط التذليل ومجاوزته الغاية. فإن منكبيّ البعير وملتقاهما من الغارب أرقُّ شيء منه وأنبا[4] عن أن يطأ به[5] الراكب بقدمه. فإذا جعلها في الذل بحيث يُمشى في مناكبها لم يترك شيئاً من التذليل[6]. وحقُّ المَثَل أن تكون[7] المفردات على حالها، فلا استعارة في لفظ المناكب. وقيل: استعير المناكب للجبال. قال الزجاج: معناه سهَّل لكم السلوك في[8] الجبال، فإذا أمكنكم السلوك[8] فيها فهو أبلغ التذليل. وقيل: استعير لجوانبها.

---

(١) أسباب النزول، للواحدي، ص ٢٤٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٨/ ٣٠٠؛ وروح المعاني للألوسي ٢٩/ ١٣.

(٢) السلوك فيها. (إرشاد العقل السليم ٥/ ١٨٠).

(٣) ولم يقل: «جعل الأرض ذلولاً لكم» وإنما قدَّم «لكم» مع أن حقها التأخير عن مفعولي «جعل» للاهتمام بالمقدم وهو بنو الإنسان، والتشويق إلى المؤخر، وانبعاث النفس على ترقب وروده يؤدي إلى تمكنه لديها عند ذكره فضل تمكن، وخاصة إذا كان المؤخر من منافع المخاطبين. (إرشاد العقل ٥/ ١٨١).

(٤) (ب): أنبأ. وفي اللسان: نبا: ارتفع.

(٥) (ب): يطأه.

(٦) قارن مع (إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٥/ ١٨٠).

(٧) (أ): يكون.

(٨ ـ ٨) ساقط من (ب).

﴿وكلوا من رزقه﴾: التمسوا من نعم الله تعالى. وتخصيص الأكل بالذكر لكونه أهم وأعم.

﴿وإليه النشور﴾: أي إليه تعالى خاصة نشوركم، فهو سائلكم[1] عن شكر ما أنعم عليكم[2].

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿أأمنتم من في السماء﴾: أمره وقضاؤه[3] وألوهيته، كقوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾[4] والهمزة للإنكار. وقرىء بقلب الهمزة الثانية ألفاً.

﴿أن يخسف بكم الأرض﴾: كما خسفها بقارون. وهو بدل من بدل الاشتمال. والخسف أن تنهار الأرض بالشيء. وتعديته بنفسه وبكم حال، أي مصحوباً بكم.

---

(١) (ب): مسائلكم.

(٢) إليه المرجع بعد البعث لا إلى غيره، فبالغوا في شكر نعمه وآلائه. (إرشاد العقل السليم ٥/ ١٨٠).

(٣) (ب): قضائه.

(٤) تمام الآية: ﴿وهو الحكيم العليم﴾ (سورة الزخرف: الآية ٨٤) وجاء استشهاد المؤلف بهذه الآية لترجيح ما ذهب إليه على الآراء الأخرى في تفسير الآية أعلاه. وفيه تأويل، فانتبه!، (انظر إرشاد العقل السليم، ج ٥، ص ١٨٠).

﴿فإذا هي تمور﴾: المور: الاضطراب في المجيء والذهاب[1].

﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾: كما فعل بقوم لوط والحاصب الحجارة التي يُرمى بها[2].

﴿فستعلمون كيف نذير﴾: أي إذا رأيتم المُنذَرَ به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم به.

﴿ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير﴾: أي إنكاري عليهم بإنزال العذاب. وهو تسليةٌ للرسول[3] صلى الله عليه وسلم[3] وتهديد لقومه[4].

﴿أولم يروا إلى الطير﴾: الاعتبار بالطير ناسب المقام، إذ قد تقدم الحاصب[5] في الكلام. وقد أهلك الله تعالى / أصحاب الفيل [٧/أ] بالطير والحاصب الذي رمتهم به.. ففيه إذكار قريش بهذه القصة[6].

---

(١) تمور: ترتج وتهتز اهتزازاً شديداً. وأصل المور: التردد في الذهاب والمجيء. (روح المعاني ١٦/٢٩). وفي لسان العرب مادة «مور»: ومار يمور موراً: إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد. قال أبو منصور ومنه قوله تعالى: ﴿يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً﴾. قال في الصحاح: تموج موجاً، وقال أبو عبيد والأخفش: تكفأ.

(٢) (ب): ترمي بها. قال ابن كثير: «حاصباً: أي ريحاً فيها حصباء تدفعكم». وقال أبو السعود: «في الآية إضرابٌ عن التهديد بما ذكر سابقاً وانتقال إلى تهديد بوجه آخر».

(٣ ـ ٣) (ب): عليه السلام.

(٤) والالتفات إلى الغيبة ﴿من قبلهم﴾ لإبراز الإعراض عنهم.

(٥) (ب): إلى أصب.

(٦) (أ): الصفة. انظر تفصيل المناسبة في البحر المحيط لأبي حيان ٣٠٢/٨.

﴿فوقهم صافات﴾: باسطات أجنحتهن في الجو عند الطيران، فإنها إذا بسطتها صففن[1] قوادمها صفاً، والصف: وضع الأشياء المتوالية على خط مستقيم.

﴿ويقبضن﴾: ويضممنها: إذا ضربن بها جنوبهن. ولما كان[2] الحث على الاستدلال على قدرة الله تعالى بالطيران، والأصل فيه بسط الأجنحة، وأما القبض فطارىء؛ للاستظهار على التحريك للبسط. ولم يقل[3]: «وقابضات» ليدل على أن القدرة؛ على ما هو خلاف الطبع؛ إنما هي في البسط. وأما القبض فيطرأ وقتاً بعد وقت لاحتياج البسط إليه في التحريك. فإن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء. فكان الأصل في السباحة مدُّ الأطراف، والقبض إنما يكون تارات للاستعانة[4] على البسط، فكذا[5] في الطيران[6].

﴿ما يمسكهن﴾: في الجو على خلاف الطبع.

﴿إلا الرحمن﴾: الشامل الرحمة للكل بقدرته بما دبر لهن من القوادم[7] والخوافي[8] وخصهن بهيئات وأشكال يتهيأ لها بها الجري في

---

(١) (ب): سطنها صفقن.

(٢) (أ): كانت.

(٣) (ب): نقل.

(٤) (ب): وللاستعانة.

(٥) (ب): فكذلك.

(٦) هذه الآية نموذج للإعجاز العلمي في القرآن، يكشفه العلماء على مر الزمان. وقد بينت ذلك في الدراسة المتقدمة.

(٧) (ب): القواديم.

(٨) الخوافي: أربع ريشات في جناح الطائر قريبة من جسمه إذا ضم جناحه خفيت، مفردها: خافية. والقوادم: ريشات في مقدم الجناح، مفردها: قادمة.

الجو، و «ما يمسكهن» مستأنف، وإنْ جُعل[1] حالاً من الضمير من يقبضن يجوز.

﴿إنه بكل شيء بصير﴾: يعلم كيف يخلق ويدبر ويهيىء لكل شيء ما يُعده لما خُلق له وأراد منه.

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

﴿أمن هذا الذي هو جند لكم﴾: أم من يشار[2] إليه من الجموع، ويقال: هذا الذي هو جند لكم[3].

﴿ينصركم من دون الرحمن﴾: إنْ أرسل عليكم عذابه. «أم من هذا»: معادلة لهمزة الاستفهام في «أولَمْ يرو» و «من»: مبتدأ «هذا»: خبره. الموصول مع صلته صفة «هذا»، و «ينصركم» وصف «جند» .

---

(١) (ب): واجعل.
(٢) (ب): أمن يشا.
(٣) والالتفات عن الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿هو جند لكم﴾ لتشديد توبيخهم على الاستنصار بغير الله. (إرشاد العقل السليم ٥/١٨١).

محمول على لفظه. والمعنى: أولم ينظروا إلى هذه[1] الصنائع العجيبة، فيعلموا قدرتنا على تعذيبهم بخسف أو حاصب[2]. أم لكم جند ينصركم من دون الله تعالى أن أرسل عذابه[3]. وهو نحو قوله تعالى: ﴿أم[4] لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾[5]، إلا أنه أخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم إشعاراً بأنهم اعتقدوا هذا القسم.

﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾: أيْ ما هم إلا في غرور.

﴿أمّن هذا الذي يرزقكم﴾: أمن يشار[6] إليه ويقال: هذا[7] الذي يرزقكم.

[أ/٨] ﴿إن أمسك رزقه﴾: / تقديراً، وفيه إيذان بأن «هذا» إشارة إلى جميع الأوثان، لاعتقادهم أنهم يُحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم، فكأنهم الجندُ الناصر والرازق؛ على اعتقادهم[8]. والإمساك:

---

(١) (أ) ينصروا إلى هذا.

(٢) (أ) صاحب.

(٣) في البيضاوي: «أن أرسل عليكم عذابه». والمراد عند ابن كثير: «ليس لكم من دونه من ولي ولا واق، ولا ناصر». قال أبو السعود: «والمعنى: من هذا الحقير الذي تزعمون أنه نصير لكم من عذاب الله». (إرشاد العقل السليم ٥/١٨١).

(٤) «أم» ساقطة من الأصل.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٤٣.

(٦) (ب): يشا.

(٧) (ب): بهذا.

(٨) قال ابن كثير في ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾: أي منْ هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده؟ أي لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق إلا الله وحده لا شريك له. اهـ.

اللزوم[١] المانع عن[٢] السقوط، فلما لم يتعظوا أضرب[٣] عنهم فقال:

﴿بل لجّوا﴾: اللجاج: تقحمُ الأمر مع كثرة الصارف عنه.

﴿في عتو﴾: العتو: هو الخروج إلى فاحش الفساد.

﴿ونفور﴾: النفور: النبو[٤] عن الشيء هرباً[٥] من الشعور بضرره، أي أصروا على العناد وتمادوا في الشر[٦]، أو عن الحق النافع، زاعمين أنه باطل ضار.

ثم ضرب مثلاً للكافر والمؤمن فقال:

﴿أفمن يمشي﴾: المشي: جنس الحركة المخصوصة، فإذا اشتد فهو سعي، فإذا ازداد فهو عدْو[٧]، والنقلة: أعم من المشي، لتحققها بدونه فيمن زحف ودبَّ. والحركة: أعم من النقلة؛ لوجودها بدونها فيما يدور في مكانه.

﴿مكبّاً﴾: أكبّ: صار ذا كبّ، ودخل في الكب وهو السقوط في الهوة، ونحوه: أقشع السحاب: دخل في القشع. وهما من باب: انقضَّ وألام، لا من باب المطاوعة [٨]كما توهم، فإن مطاوع كبَّ وأقشع[٨]، انكب وانقشع، ولم يجيء من باب أفعل مطاوعٌ.

---

(١) (ب): الملزوم.

(٢) (ب): من.

(٣) (أ): ضرب.

(٤) (ب): والنفور التبوء.

(٥) (ب): ضربا.

(٦) (ب): الشبه.

(٧) «عدو»: ساقطة من (ب).

(٨ ـ ٨) ساقط من (ب).

﴿على وجهه﴾: عاثراً كل ساعة يَخرّ[1] على وجهه لوعورة الطريق، واختلاف أجزائه في الارتفاع والانخفاض. ولذلك قابله بقوله: ﴿سوياً على صراط مستقيم﴾ واكتفى بما في الكبِّ[2] من الدلالة على حال المسلك إشعاراً بأن ما عليه المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقاً. وخبر مَنْ:

﴿أهدى﴾: أي أرشد.

﴿أمن يمشي سوياً﴾: أي قائماً سالماً من العثور.

﴿على صراط﴾: على طريق لا التواء فيه ولا اعوجاج.

﴿مستقيم﴾: لا ميلَ فيه أصلاً، فينتفي به الصعود والهبوط والعدول، أي لا ميل[3] عن قصد السبيل. وقد مر التفصيل في تفسير سورة الفاتحة وخبر «مَنْ» محذوف لدلالة «أهدى» عليه. وقيل المُكبُّ الذي يُحشر على وجهه إلى النار، لأنه كان مُكباً على المعاصي. والسويّ: الذي يمشي على قدميه إلى الجنة، لأنه كان على طريق التوحيد والإسلام.

﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع﴾: لتسمعوا المواعظ،

﴿والأبصار﴾: لتنظروا صنائعه،

---

(١) (ب): يجر.

(٢) (أ، ب): الكتب، وهو تصحيف ظاهر.

(٣) أي لا ميل: ليست في (ب).

﴿والأفئدة﴾: لتفكروا / وتعتبروا[1]. [٩/أ]

﴿قليلاً ما تشكرون﴾: هذه النعم، والمعنى: تشكرون شكراً قليلاً و «ما»: زائدة، ويحتمل أن تكون[2] القلة عبارة عن العدم.

﴿قلْ هوَ الذي ذرأكم﴾: خلقكم.

﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾: للجزاء، والحشر: السوق من جهات مختلفة إلى مكان واحد.

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾: يعنون وعد البعث.

﴿إن كنتم صادقين﴾: يعنون النبي عليه الصلاة والمؤمنين[3].

﴿قل إنما العلم﴾: علم وقته.

﴿عند الله﴾: لا يطَّلع عليه أحد غيره.

﴿وإنما أنا نذير مبين﴾: مِخوِّف ظاهر، وذلك أن بعثته عليه السلام كانت من أشراط الساعة فكان، صلى الله عليه وسلم، منذراً قالاً وحالاً، على ما أشار إليه بقوله: «أنا النذير العُرْيان»[4].

---

(١) (ب): «لتتفكروا وتعبروا». قال الإمام ابن كثير ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾: ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾: أي العقول والإدراك، ﴿قليلاً ما تشكرون﴾: قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

(٢) (أ، ب): يكون.

(٣) ودخل المؤمنون في الخطاب حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له.

(٤) ونص الحديث: «إن مَثلي ومَثلُ ما بعثني الله به، كمَثَل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيتُ الجيش بعينيَّ، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء. فأطاعه طائفة =

﴿**فلما رأوه**﴾: الضمير للوعد بمعنى الموعود.

﴿**زُلفةَ**﴾: نصْبٌ على الحال، أيْ ذا زلفة: أي قُرْب منهم، أو على الظرف أي مكاناً ذا زلفة، أي فلما رأوا ما وعدوا قريباً.

﴿**سيئت وجوه الذين كفروا**﴾: من باب وضع الظاهر موضع الضمير. وأصل النظم[1] أن يقال: فلما رأى الذين كفروا الموعود ساءت له[2] رؤية وجوههم، فغيَّر إلى ما ترى للذم والإيذان بأنَّ سبب المساءة[3] والكآبة برؤية الوعيد إنما هو الكفر، وكذلك (فمنْ يُجير الكافرين) في موضع: فمن يجيركم.

﴿**وقيل هذا الذي كنتم به تَدَّعون**﴾: تفتعلون[4] من الدعاء، وقيل من الدعوى، وقرىء: «تدعون» بالتخفيف. قيل: القائلون هم الزبانية، أي تطلبون وتستعجلون به، أو كنتم بسببه تدَّعون وتزعمون أنكم لا تبعثون.

= من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مُهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فَصَبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مَثَل من أطاعني واتبع ما جئت به ومَثَل من عصاني وكذَّب ما جئت به من الحق». رواه البخاري ومسلم واللفظ له. انظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي ١٨٥/٧ ــ ١٨٦؛ وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ١٧٨٨/٤ ــ ١٧٨٩.
قال ابن الأثير في النهاية: «خصَّ العريان لأنه أبين للعين وأغرب وأشفع عند المبصر. وذلك أن ربيئة القوم وعينهم يكون على مكان عال، فإذا رأى العدو قد أقبل نزع ثوبه وألاح به لينذر قومه ويبقى عرياناً».

(١) النظم: مكررة في (ب) سهواً من الناسخ.

(٢) له: ليست في (ب).

(٣) (أ): المسآة.

(٤) (ب): تعقلون.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

﴿**قل أرأيتم إن أهلكني الله**﴾: أماتني.

﴿**ومن معيَ**﴾: من المؤمنين.

﴿**أو رحمنا فَمَنْ يُجير الكافرين من عذاب أليم**﴾[1]: أي لا ينجيهم أحد من العذاب، متنا أو بقينا[2]، وهو جواب لقولهم: «نتربص به ريب المنون» وفيه تعريض[3] بأن الرسول عليه السلام ومن معه متربصون إحدى الحسنيين؛ فالهلاك الذي تطلبون لهم إنما هو استعجال الفوز والسعادة. وأنتم على صفة ليس وراءها[4] إلا الهلاك؛ الذي لا هلاك بعده؛ وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه.

﴿**قل هو الرحمن**﴾: أي الذي أدعوكم إليه مولى النعم كلها.

﴿**آمنا به**﴾: للعلم / بذلك[5]. [١٠/أ]

---

(١) وضع الاسم الظاهر ﴿فمن يجير الكافرين﴾ موضع المضمر «فمن يجيرهم» لتسجيل الكفر عليهم وتعليل عدم نجاتهم به. انظر إرشاد العقل السليم ٥/١٨٢.

(٢) (أ): متنا أو بقينا، وفي (ب): مقنا أو بقينا.

(٣) (ب): وقد تعرض.

(٤) (ب): وراؤها.

(٥) أي لعلمنا بأنه تعالى مولى النعم كلها، فإن كل ما سواه إما نعمة أو منعم عليه. انظر إرشاد العقل السليم ٥/١٨٢.

﴿وعليه توكلنا﴾: للوثوق عليه. وإنما أُخرت[1] صلة «آمنا» وقدمت صلة «توكلنا» لوقوع «آمنا» تعريضاً بالكافرين، حيث ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل: آمنا ولم نكفر[2] كما كفرتم. ثم قيل: وعليه توكلنا خصوصاً لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم.

﴿فستعلمون مَنْ هو في ضلال مبين﴾: منا ومنكم[3]، وقرىء بيا الغائبة رداً على قوله: فمن يجير الكافرين.

﴿قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم﴾: أي صار.

﴿غوراً﴾: غائراً: ذاهباً في الأرض لا تناله[4] الدلاء، يقال: غار الماء غوراً إذا سفل[5] في الأرض؛ مصدر وُصف به للمبالغة، خصّ من بين أنواع الإزالة أهونها بالعبارة إحالة لغيرها على الدلالة. فكأنه يقول: عجزكم[6] في هذه الصورة ثابت فكيف الحال فيما فوقها، ولا يخفى أن إعمال الدلالة خير من إهمالها[7]. ثم إنَّ فيه إشارةً إلى أن الماء فوق مقتضى طبعه أن يفور، فخروجه على وجه الأرض وظهوره بالقسر لطف من الله تعالى. فالامتنان هنا بالإحسان أقوى مما في قوله

---

(١) (ب): «أخر». وقوله: «صلة» المراد به الجار والمجرور «به» المتعلق بآمنا و«عليه» المتعلق بتوكلنا.

(٢) (ب): يكفر.

(٣) وستعرفون بالتالي لمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة. انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٠.

(٤) (أ، ب): يناله.

(٥) (ب): إذا أسفل.

(٦) (ب): عن.

(٧) (ب): أسمائها.

تعالى: ﴿وإنَّا على ذهابٍ به لقادرون﴾[1] لأنه امتنان بترك الإساءة[2].

﴿**فمن يأتيكم بماءٍ معين**﴾: ظاهر تراه العيون، أو جارٍ على وجه الأرض. فهو على الأول مفعول من العين كمبيع من البيع، وعلى الثاني من الإمعان في الجري، فوزنه فعيل، كأنه قيل: ممعن في الجري[3].

[انتهى]

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٨.

(٢) وفي هذه الآية إظهار لرحمة الله في عموم خلقه. (تفسير ابن كثير ٤/٤٠٠).

(٣) قال ابن كثير ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾: أي نابع سائح جار على وجه الأرض أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل. فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب حكمته في تلبية ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة، فلله الحمد والمنة. (تفسير القرآن العظيم ٤/٤٠٠).

أقول: تم بحمد الله إعداد هذه الرسالة القيمة للنشر العام، على الرغم من ارتباك الظروف. وأسأل الله تبارك وتعالى أن ييسر لي مستقبلاً حسن النظر ثانية في الدراسة وترتيبها وفي التعليق. والله ولي التوفيق.



ثبت المراجع

١ - القرآن العظيم، كتاب الله تبارك وتعالى.

٢ - أسباب النزول، للواحدي.

٣ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبدالله بن عمر البيضاوي، مكتبة الجمهورية بمصر.

٤ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي، ط. المكتبة الحسينية المصرية.

٥ - الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط. المشهد الحسيني بالقاهرة.

٦ - الأعلام، خيرالدين الزركلي.

٧ - البحر المحيط، محمد بن حيان الأندلسي، ط. السعادة بمصر.

٨ - التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، ط. مصر.

٩ - التخويف من النار، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط. بيروت، ١٤٠٢هـ.

١٠ - تفسير القرآن العظيم، عمادالدين بن كثير، ط. عيسى البابي الحلبي بمصر.

١١ - جامع الأصول من أحاديث الرسول، أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري، ط. مصر.

١٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط. مصطفى البابي الحلبي، طبعة ثانية.

١٣ ـ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
١٤ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ط. إيران.
١٥ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، ط. مصر.
١٦ ـ روح المعاني، محمود الألوسي، ط. المنيرية الثانية بمصر.
١٧ ـ زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن الجوزي، ط. دمشق.
١٨ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن العماد الحنبلي، ط. القدسي، مصر.
١٩ ـ الشقائق النعمانية، طاش كُبري زاده، ط. بيروت، ١٣٩٥.
٢٠ ـ الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين التميمي، ط. مصر.
٢١ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، ط. م. الحلبي.
٢٢ ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبدالحي اللكنوي الهندي، ط. الهند.
٢٣ ـ كشف الظنون، حاجي خليفة.
٢٤ ـ الكشاف عن غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، ط. ثانية، المكتبة التجارية بمصر.
٢٥ ـ لسان العرب، محمد بن منظور الإفريقي المصري، ط. لبنان.
٢٦ ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط. مصطفى البابي الحلبي بمصر.
٢٧ ـ مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أحمد بن تيمية، ط. دار القرآن، بيروت.

* * *

فهرس الموضوعات

﴿تفسير سورة الملك﴾

من الإنتاج العلمي للمحقق

(أ) في التأليف العلمي :

* نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ــ مقدم للطبع ثانية.
* بَيِّنات المعجزة الخالدة ــ مقدم للطبع ثانية.
* الشورى في الإسلام ــ معد للطباعة.
* شَغَفُ الرسول وأصحابه بحفظ القرآن أساس تواتره ــ (بحث واسع في مجلة كلية الشريعة، العدد السادس، ١٤٠٣هـ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة).
* مزايا القرآن العظيم.
* وحي الله، حقائقه، وخصائصه، نقض مزاعم المستشرقين، طبع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
* التربية الإسلامية بالاشتراك ــ طبع وزارة التربية السورية ١٩٦٧م.
* الأحرف السبعة في القرآن ــ تحت الطبع.

(ب) في تحقيق التراث الإسلامي :

* تفسير سورة الملك، لأحمد بن سليمان بن كمال باشا.
* تفسير سورة النصر، للإمام عبدالرحمن بن رجب الحنبلي. طبع في إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر.

٣٠ / ٢١ / ٢ / ٠٧